9me Année No. 419

Lundi - 14 - 7 - 1941

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٤١٩ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٩ جمادي الآخرة سنة ١٣٦٠ — الموافق ١٤ يولية سنة ١٩٤١ » السنة الثامنة

الفهـــرس

صفحة		
٨٨٥	عبر من ســـيرة	الأستاذ عباس محمود العقاد
٨٨٨	أبو المظفر الأبيـــوردى شاعر العرب فى القرن الخامس ...	الدكتور عبدالوهاب عزام ...
٨٩١	الحديث ذوشجون	الدكتور زكى مبارك ... ...
٨٩٥	دمشق	الأستاذ على الطنطاوى ...
٨٩٨	السير التائح ! ... [قصيدة]	الأستاذ محمود حسن إسماعيل
٨٩٩	من حديث النفر الحزين ...	الأستاذ عماد الدين عبد الحميد
٩٠٠	أفة ... !	شاعر الحب والجمال « لامرتين » ترجمة الأستاذ محمد أسعد ولاية
٩٠٣	عبد القادر حمزة باشا ...	الأستاذ محمد السوادى ...
٩٠٧	شاعر غريب ... [قصيدة]	الأستاذ طاهر محمد أبو فاشا
٩٠٧	حيثتستحين عينيك «	الأستاذ الموضى الوكيل ...
٩٠٨	جواب	الأستاذ الكبير « وحيد »
٩٠٨	تعليم القراءة والكتابة ...	... ...
٩٠٨	التأريخ عند العرب ...	الأستاذ أحمد صفوان ...
٩٠٩	لابن المقفع لا الخليل — شاعر وناقد — النحو فى الكلام كالملح فى الطعام	الأستاذ بدارى على بدارى ...
٩١٠	تعـــويب	... ...
٩١٠	حول إبعاد الخيز	الأستاذ خليل السالم ...
٩١٠	الشارب ... ... [قصة]	القصصى الفرنسى جى دى موبسان ترجمة الأستاذ إبراهيم شموش

عبر من ســـيرة

للأستاذ عباس محمود العقاد

« بدرفسكى » موسيقى عظيم وإنسان عظيم ، وليس الموسيقى ببالغ أوج العظمة فى فنه حتى يبلغ أوج العظمة الإنسانية فى أفق من آفاقها العليا ، وإن خيل إلى الأكثرين منا أن الموسيقى طرب ، وأن الطرب لهو ، وأن اللهو والعظمة لا يتفقان

كان « بدرفسكى » عظيما لأنه كان أكبر من جميع تلك الأشياء التى يتصاغر لها الناس : كان أكبر من المال ومن المنصب ومن الأثرة ومن المتعة الرخيصة ، وكاد أن يكبر على غواية الفن لولا أنه من الفن قد استمد الكبرياء والعظمة ، فلا يهجره فترة يسيرة إلا بقوة منه ، كما يهجر المرء حياته أحياناً بقوة من دوافع تلك الحياة

والعظمة مقاييس شتى

وبدرفسكى عظيم بأكثر من مقياس واحد : عظيم بهذا الذى ذكرناه ، وعظيم بإعطائه كل شىء حقه على قدر لا يستطيعه أوساط الناس ، وعظيم لأنه قادر على العمل العظيم فى غير ناحية واحدة . فلم ينحصر فى موسيقاه ولا فى دعوته الوطنية ولا فى غزواته السياسية ، ولم يجاوز فى كل عمل من هذه الأعمال الكبار حده المقدور

أبلغ العالم شكاة أمته بصوت الموسيقى ، فكان داعية فن وداعية وطن . ثم ترك المناصب ليثوب إلى فنه بعد أن صنع ما كان في وسعه أن يصنع ، ولم يبق من سبب لبقائه في المناصب الدولة إلا التعلق بها والاستخذاء لنوالها ، وليس هو ممن يتعلق بهذه الفتنة أو يستخذي لهذه النوالة

وجمع الذهب : أكداس الذهب ، ثم فرق في خدمة القضية البولونية ما لو احتفظ به لكان أغنى من ملوك المال وأقدر من حكام الأمم

واشتدت به العصبية الوطنية غاية اشتدادها ، ولكنه حين وهب الجوائز للنابغين في ضروب الموسيقى وهبها عالمية لكل مجيد وكل مأمول الإجادة من أبناء القارة الجديدة

ففيه لكل من الوطن والعالم والفني نصيب بمقدار ، وبين يديه هو ميزان ذلك المقدار

ومقياس آخر من مقاييس العظمة فيه أنه جند جيشاً وساس دولة ووجه الدول الأخريات توجيهاً لم يحلم به حالم من أبناء وطنه ، ولكنه لم يكن من الحالمين وهو أجدر أبناء بولونيا بالإمامة في عالم الأحلام

ومن يدري ماذا كان يجري في القارة الأوربية لو استمع أبناء قومه لنصحه واتبعوا هداه في العلاقة بينهم وبين جيرانهم من الروس ... فلعل الذي كان يجري يومئذ غير الذي جرى الآن ، وخير مما جرى أو سيجري بعد الآن !

بدرفسكي رجل عظيم لأنه موسيقي عظيم

وهذا شيء ينبغي لنا أن نفهمه نحن الشرقيين خاصة لأننا أحوج إلى فهمه من جملة العالمين

نحن الشرقيين لا نفهم ما الدنيا وما الحياة في الدنيا حتى نفهم ما التعبير عن الحياة ، ونفهم أن الفنون أرفع وأجل ما وهب الإنسان من وسائل التعبير عن حياته بل عن حياتيه : الحياة الظاهرة التي لا خفاء بها ، والحياة الباطنة التي ما خلت قط ولن تخلو يوماً من خفاء

فليست الأصداء الموسيقية لغواً من لغو البطالة ، ولا هي بذيل من ذيول الفراش أو ذيول السرير ، ولا هي بتسلية للأذن تصطنعها كما يستطاب السجع للموزون والرنين للنغوم

كلا . ليست الأصداء الموسيقية كذلك ، وليست الحياة شيئاً إن كانت الأصداء الموسيقية كذلك

نعم ليست الحياة شيئاً إن لم يكن لها تعبير ، وليست هي شيئاً إن كان كل التعبير عنها لغواً أو تسلية أو متعة فراش

ومن السهل أن تزدري الرجل الذي يبتذل فنه لشهوة غيره ، وليس من السهل أن تزدري الرجل الذي يعبر لك عن حياتك ويفتح لك من مغالقها ما عسى أن يحتجب عنك ؛ فإنما هو واهب حياة وليس بواهب شهوة أو تسلية أو فضول

لهذا يلتقي الموسيقي العظيم والرجل العظيم في إنسان واحد . ولهذا نحسب بدرفسكي آية من آيات عصره ، لأنه استرعى النظرة الجدية منهم حين أسندوا إليه رياسة الوزارة في قومه . وما كانت رياسة الوزارة علواً يرتفع إليه بعد أن رفعته العبقرية ، ولا صوتاً مسموعاً في جانب من جوانب الأرض بعد أن سمع صوته في كل جانب منها ، وإنما كانت ولاية الموسيقي لرياسة الوزارة دليلاً على النظرة الجدية التي ينظرون بها إلى فنه ، أو ينظرون بها إلى الحياة والتعبير عن الحياة

ولو سئل أحد لم كان بدرفسكي رجلاً عظيماً لما خطر له أن يقول : إنه كان عظيماً لأنه تولى رياسة الوزارة البولونية في عهد من العهود ، ولكنه يقول إنه كان عظيماً لأنه كان أهلاً للمجد وأهلاً للاضطلاع بالأمانة . ولا تناقض بين هذا وبين عزفه على البيان ، واختراعه الجديد من الألحان ، بل هذا حجة له على صدق العظمة فيه واقتداره على كل ما يقتدر عليه العظيم

الحياة تأثير وتعبير . وماذا بعد هذين ؟ بل ماذا في التأثير نفسه إن لم يتممه التعبير ؟

فالعبقرية التي تتم الحياة وتعطيها معناها ليست بالمنزلة الهينة بين منازل الإنسانية ، وليست بالنافلة بين النوافل ولا باللغو الذي يكون أو لا يكون على حد سواء

* * *

قلت في ذكرى من ذكريات الموسيقار المصري النابغة سيد درويش إن « الأمة الكاملة عجزت مع هذا عن قضاء حق

الرجل الفرد فات بينها وهي لا تعلم أنها أصيبت من فقده بمصيبة قومية، ولم تبال حكومتها أن تشترك في تشييع جنازته وإحياء ذكره كما تبالي بتشييع جنازات الموتى الذين ماتوا يوم ولدوا والمشيعين الذين شيعتهم بطون أمهاتهم إلى قبر واسع من هذه الدنيا يغمسون فيها من أجوائها ما ليست تفسده العظام النخرات والجثث البالية . . . أتقول مع هذا ؟ بل ما لنا لا نقول إن الرجل قد أهمل في حياته وبعد مماته ذلك الإهمال القبيح لأجل هذا ؟ أو ليست آدابنا هي تلك آداب هذا الشرق الجامد القليل الذي تساورته الرزايا وران عليه الطغيان ؟ أو ليست آداب هذا الشرق المسكين تعلمنا أن العزيز العظيم من يسيء إلى الناس، وأن المهين الحقير من يتوخى لهم الرضى ويوطئ لهم أسباب السرور ؟ أوليس من شرع الاستبداد وسنن آدابه أن يكون الرجل عظيما لأنه يطغى ويقهر ويكسر النفوس ويحنى الظهور ويعفر الوجوه ؟ أوليس هذا أعظم ما رأينا من العظمة في هذا الشرق الآفل منذ علم أبناؤه أنهم صغراء حقراء، فلن يكون الذي يتقدم إليهم بالرضى والسرور إلا أصغر منهم صغراً وأحقر منهم حقارة ؟ بلى ، وا أسفاه ! إن دفائن الاستبداد ما برحت عالقة فينا بدخيلة السرائر، تنفضها فلا تنتفض إلا ذرة بعد ذرة، وتزن المنفوض منها فإذا هو لا يزيد في الهباء ولا ينقص راكد ذلك التراث ... »

وقد مضت قرابة عشرين سنة بعد وفاة سيد درويش ونحن لم نتقدم خطوة في هذا المضمار . فلا تزال الأصداء الموسيقية ذيلاً من ذيول الفراش عند جمهرة السامعين ... أتشك في ذلك ؟ استمع إليهم وهم يصرخون ويزعقون بين لحنة وأخرى ، ثم حاول أن توفق بين هذا النشوز الصادع وبين شعور السامع بانسجام الأنغام وائتلاف المعاني وانتظام الأوزان . إن التوفيق بينهما لمستحيل ، ولكن لا صعوبة في التوفيق بين هياج الحس المستثار بتصور الشهوة وبين هذه الثورة الناشزة في الحناجر والأيدي والأقدام . فهم على مقربة من الفراش في صورته الحيوانية المريضة ؛ ثم هم لا يستمعون ما يسدم عنه أو يحولهم إلى فكرة غير التفكير فيه . وعليهم بعض الوزر وعلى الموسيقيين والمطربين وعلى الماضي الذي خلف لهم ذلك التراث بقية الوزر التي لا ندري متى يدركها النفاد !

وبيننا وبين الخلاص من هذه البلية عقبتان : أولاهما أننا نحسب الفنون لهو بطالة . وثانيتهما أن اللهو في عرفنا إسفاف وضيع يعيره الإنسان فضول وقته ، ولعل وقته كله فضول

من يصدقني من هؤلاء إذ أقول له إن الموسيقى جد رفيع وشاغل مقدس وليس بهزل ولا مجانة ؟

لا أحد

فلنقل لهم إذن أن بدرفسكي للموسيقى تولى رياسة الوزارة في وطنه وتولى قبل ذلك زعامة قومه باعترافهم واعتراف الغرب كله، فإنهم ليصدقون إذن وهم حائرون أن للموسيقى جد والأمر لله !

ثم إنهم ليصرخون بعد ذلك ويزعقون كلما رجعوا إلى « النخت » الذي هو عندهم دهليز الفراش ، ولا فضل له عليه !

عباس محمود العقاد

ظهر حديثاً كتاب :

الحرب الحديثة

وما يلقيه على مصر والشرق العربي من دروس

تأليف الأستاذ

رياض محمود مفتاح

المحامي

وهو دعوة لمصر والشرق العربي إلى النهوض على ضوء الحوادث العالمية الأخيرة .

يطلب من إدارة الرسالة ومن المكاتب الشهيرة وثمنه ١٥ مليماً عدا أجرة البريد

أبو المظفر الأبيوردي

شاعر العرب في القرن الخامس

للدكتور عبد الوهاب عزام

(تتمة)

— ٦ —

فخر الأبيوردي بأمويته واعتز بها، ولكن عصبيته لبني أمية لم تورطه في العداوة التي أثارتها الفتن بين الأمويين والهاشميين، فهو يفخر ببني عبد مناف جميعاً لا يفرق بين هاشم وأمية كما يفخر بقرشيته وعربيته ويمدح العباسيين ويذكر مآثرهم، وإذا تحدث عن الصحابة وفي الخلفاء حقهم من الثناء والإجلال كما يتحدث المسلم الذي لم تخالط نفسه أهواء العصبية

يقول في مدح المستظهر بالله :

يا خير من بشرت بعد النبي به ... عدنانُ وادّرعت عِزّاً به مضر

أحيا بك الله ما كانت تُدلُّ به ... على قريش ومنها السادة الغرر

لك الوقار من الصدّيق تكنفه ... مهابةٌ كان محبّوا بها عمر

وجود عثمان والآفاق شاحبة ... ونجدة من عليّ والقنا كِسَر

وعِلمُ جدك عبد الله شِيب به ... دهاؤه حين أعيا الوارد الصدر

ثم يذكر الخلفاء العباسيين إلى المعتصم

ويقول في قصيدة يمدح فيها الرسول والخلفاء الراشدين :

وكلّ صحابة أهوى فالهدى معهم ... وغَرب من أبغض الأخيار مفلول

وأقتدي بضجيعيك اقتداء أبي ... كلاهما دَمُ مَن عاداه مطلول

ومن كسبان جوداً والسماح له ... عبء على كاهل العلياء محمول

وأين مثل عليّ في بسالته ... يمازق من يَرِدْه فهو مقتول

إني لأعذل من لم يُصفِهم مِقة ... والناس صنفان : معذور ومعذول

ونجده في قصيدة أخرى يفخر بالأمويين والعباسيين والعرب كلهم

— ٧ —

كان الأبيوردي شاعر العرب في القرن الخامس كما كان المتنبي شاعرهم في القرن الرابع ؛ فشعره ينطق بإباء العرب وعزتهم، ويُعرب عن طباعهم وأخلاقهم، ويتحدث بمآثرهم ومفاخرهم، ويمدح كثيراً من رؤسائهم، ويرثي لحالهم في عصره ويأنف ألاّ ينالوا حقهم. وهو كثير الحنين إلى بلاد العرب، تزّاع إلى البداوة تشبها بهم

والفرق بين أبي الطيب المتنبي وأبي المظفر الأبيوردي أن الأبيوردي أكثر قصداً في فخره وثورته وتحدثه عن مظالمه ؛ على أن له أصلاً في الملك يجعل كلامه أقرب إلى القبول وأدنى إلى التصديق

وكذلك يتشابه الشاعران العظيمان في النزوع عن الدنايا، والترفع عما فخر به الشعراء من معاقرة الخمر والاسترسال في الشهوات

ولا يعوز قارىء ديوان الأبيوردي الدليل على هذه الأخلاق والنزعات ؛ يقول في اعتداده بنفسه :

وإني إذا أنكرتني البلاد ... وشيبَ رضا أهلها بالغضب

كالضيغم الورد كاد الهوان ... يَدبّ إلى غابه فاغْتَرَبّ

فشيمتُ مجداً رسا أصله ... أمتّ إليه بأمّ وأب

ولم أنظم الشعر عجباً به ... ولم أمتدح أحداً عن أرب

ولا هزني طمعٌ للقريض ... ولكنه ترجمان الأدب

ويقول :

وما أنا ممن يملأ الهول صدرَه ... وإن عضه ريب الزمان فأوجما

إذا ما غشيت العار عني لم أبَل ... نداء زعيم الحي بشر أو نعى

والأبيوردي لا يرضى بعيشته، ولا يسكن إلى حاله، ولكنه يأنف أن يُسف إلى المطمع الدون، ويستكبر أن تضرعه الحاجة إلى الذل، بل يرى الدنيا كلها أصغر من أن تذل لها نفوس الأحرار. يقول :

قضت وطر آمالي الليالي فلم أبح ... بشكوى ولم يدنس عليّ قميص

أغالي بعرضي والنوائب تعترى ... وغيري يبيع العرض وهو رخيص

وقد علمتْ عليا كنانة أنني ... على ما يزين الأكرمين حريص

فظهري بأعباء الخصاصة مثقل ... وبطني من زاد اللئام خميص

ويقول :

وإني لأقرى النائبات عزائماً ... تروض إباء الدهر والدهر شامس

وأحقر دنيا تسترقُّ لها الطلى ... مطامع لحظي دونها متشاوس
تجافيت عنها وهي خود غريرة ... فهل أبتغيها وهي شمطاء عانس؟
أغالي برخصي في الخصاصة، والتي ... تراودني عن بيعه، وأماكس
وأصدى إذا ما أعقب الري نهلة ... وأزجر عيسي وهي رهيم خوامس
ولي مقلة وحشية لا تروقها ... نفائس تحويها نفوس خسائس

ويمثل في أبيات أخرى ما يتنازع نفس الأبي الذي بدلت أحواله غِيَرُ الزمان:

ولما انتهت أيامنا علقت بنا ... شدائد أيام قليل رخاؤها
وكان إلينا في السرور ابتسامها ... فصار علينا في الهموم بكاؤها
أسيئت بنا فاستعبرت وضلوعها ... على مثل وخز السمهري انطواؤها
ولو علمت ماذا تعانيه بعدنا ... لما شمتت جهلاً بنا سفهاؤها

إلى أن يقول:

ملكنا أقاليم البلاد فأذعنت ... لنا رغبة أو رهبة عظماؤها
وجاست بنا الجرد العتاق خلالها ... سواكبَ من لباتهن دماؤها
فصرنا نلاق النائبات بأوجه ... رقاق الحواشي كاد يقطر ماؤها
إذا ما أردنا أن نبوح بما جنت ... علينا الليالي لم يدعنا حياؤها

وأنفة الأبيوردي وعفته لا ترضيانه بأدنى العيش، فهو طماح إلى العلى، ساع لها، مغامر من أجلها:

رأت أميمة أظماري وناظرُها ... يعوم في الدمع منهلاً بوادره
وما درت أن في أثنائها رجلاً ... ترخي على الأسد الضاري غدائره
أغرّ في ملتقى أوداجه سَبَد ... حمر مناسله، بيض عشائره
إن رث بردي فليس السيف محتفلاً ... بالنصل وهو وميض الضرب باتره

وهو يرى نفسه كفء المعالي التي يطمح إليها، وأهلاً لها بنسبه وهمته:

قُم درى فكم أسمو إلى أمد ... والدهر في ناظريه دونه شوَس
أبني عُلَيّ راماجدي فأدركها ... وكان في غمرة الهيجاء ينغمس
فأي أروعَ مني نهنهت همي ... وأي شأو من العلياء ألتمس

ويقول:

سأحمل أعباء الخطوب فطالما ... تعاشت على الأين الجمال القناعس
وأنتظر الحقبي وإن بعُد المدى ... وأرقب ضوء الفجر والليل دامس
فلله دري حين توقظ همتي ... مساورة الأشجان والنجم ناعس

هذه الأنفة وهذا الإباء وهذا الطموح وهذه الكبرياء التي أوحت إليه أنه دون مكانته، وأن عليه أن يطلب مكانة تليق به وبآبائه، أكثرت حديثه عن مباشرة الخطوب وركوب الأهوال في سبيلها والمحاربة من أجلها، يقول:

تقول ابنة السعدي وهي تلومني ... أمالك عن دار الهوان رحيل؟
فإن عناء المستقيم إلى الأذى ... بحيث يذل الأكرمون طويل
وعندك عيوك السراة مطهم ... وفي الكف مطرور الشباة صقيل
فثب وثبة فيها المنايا أو المنى ... فكل محب للحياة ذليل

وقال:

سواي يجرّ مفوفه التظنّي ... ويرخي عقد جبّوة المتنى
ويُلبس جيدَه أطواقَ نعمى ... تشف وراءها أغلال مَنّ
إذا ما سامه الأوْماء ضيماً ... تمرّغ في الأذى ظهراً لبطن
وظل نديم عاطية وروض ... وبات مريع باطية ودنّ
وأشعر قلبه فَرَق المنايا ... وأودع جسمه نعم المنى
وسلسلةُ اللجام لدىّ أحرى ... بمز في مباءته مُبينّ

إلى أن يقول:

وها أنا أوسع الثقلين صدراً ... ولكن الزمان يضيق عني

ويقول:

يا صاحبي خذا السير أهبته ... فغيرنا بمناخ السوء يحتبس
أترقدان وفرع الصبح منتشر ... عليكما وذماء الليل مختلس
إن تجهلا ما يناجيني لحفاظ به ... فالرمح يعلم ما أبنيه والفرس

سخط الأبيوردي وتحدثه بالثورة كانا نتيجة إبائه وطموحه وإنكاره المنزلة التي نشأ فيها كما كانا من سخطه للعرب واستكفافه أن تنزع المقاليد من أيديهم، وتوكل الأمور إلى غيرهم. فالنعرة العربية بيّنة في شعره، والأنفة للعرب مكررة في قصائده. قال في قصيدة يمدح فيها أبا النضر المرواني أحد أقاربه:

دهر تذأبّ من أبنائه نقد ... وأوطنت عربٌ أعقاب أعلاج
وأينع الهام لكن نام قاطفها ... فمن لها بزياد أو بحجاج؟

وكم أهبنا إليها بالملوك فلم نظفر بأروع للغاء قراج
وأنت يا ابن أبي الغمر الأغر لها فقل لقود أضاعوا رعيها: عاج
وألقح الرأي ينتج حادثاً جللاً إن الحوامل قد همت بإخداج
وإن كويت فأنضج غير متئد لا نفع للكي إلا بعد إنضاج

إلى أن يقول:

متى أراها تثير النقع عابسة تردي بكل طليق الوجه ميلاج
ولاج باب أناخ الخطب كلكله به ومن غمرات الموت خراخ
في غلة كضواري الأسد أحنقها
زأر العدى دون غابات وأحراج . الخ

وله قصيدة يمدح بها بعض الوزراء من أسرته أولها:

من رام عزا بغير السيف لم ينل
فاركب شبا الهندوانيات والأسل

ويقول فيها:

وخالفت هاشماً في ملكها عُصَب
ساروا ملوكا وكانوا أرذل الخول
حتى أتت صحبة الأجفان والخلل... الخ

ويقول في مدح أبي الشداد العقيلي يشكو حال العرب ويحرضه على أن يطلب لهم المكانة الجديرة بهم:

فإنه أبا الشداد إن وراءنا أحاديث تروى بعدنا في المآثر
فمن لي بخرق ثائر فوق سابح تردى بإعصار من النقع ثائر
إذا حفزته هزة الروع خلته
على الطرف صقراً فوق فنخاء كاسر
أترضى وما العرب غير لشملها توسدهم رملي زرود وحاجر؟
بهم ظمأ أدمى الجوانح برحه
وذموا إلى الشعرى احتدام الهواجر

وأما إعجابه بأخلاق العرب وحنينه إلى ديارهم في مدحه وغزله فيذكران بأبي الطيب المتنبي. فهو يحن إلى البداوة ويتغزل بالبدويات، وإذا تحدث عن أمانيه وأعوانه فالمثل الأعلى عنده فتيان العرب

يقول في قصيدة يمدح بها المستظهر بالله:

مضى كل فضفاض الرداء تميدع
أصاحب منه في الوقائع أروعا
غذته ربى نجد فشب كأنه شبا مشرفي يقطر السم منقعا
يريح، إذا ارتج الندي بمنطق،
كلاماً كأن الشيح منه تضوعا
ويروى أنابيب الرماح بمأزق
يظل غداة الروع بالدم مترعا... الخ

ويقول في قصيدة يمدح بها أحد رؤساء العرب:

وترويك في قبس حياض تظلها
ذوابل في أيدي ليوث خوادر
بنو عربيات تحوط ذمارها كماة كأنضاء السيوف البواتر

ويقول في مدح سيف الدولة صدقة بن دبيس:

له عمة لو ناء تفتر عن نهى علمنا بها أن الهمائم تيجان

وحنينه إلى البداوة وعاداتها يتبين في مثل قوله:

وأسرى يعيس كالأهلة فوقها وجوه من الأقمار أبهى وأبهر
ويعجبني نفح العرار وربما شممت بمرنيق وقد فاح عنبر
ويخدش غمدي بالحمى صفحة الثرى
إذا جر من أذياله المتعفر
ذا العيش إلا الضب يحرشه القنى وورد بمستن اليرابيع أكدر
بحيث يلف المرء أطنابَ بيته على العز والكوم المراسيل تنحر
وينشي ذواه حين يعتم للقرى ويسمو إليه الطارق المتنور

هذا طرف من أخبار هذا الشاعر العربي الأموي العظيم.

ولعل المتأدبين من شباب العرب يجدون في شعره متعة للنفوس الكريمة، وشحذ الهمم الطامحة، وتعطفاً من الكلام البليغ، اتفق على تجويده اللفظ والمعنى. ولعل الفرصة تتاح لبحث مفصل جامع في أدب هذا الشاعر

عبد الوهاب عزام

استدراك: ورد في المقال السابق في العمود الأول في السطر العشرين كلمة: معاوية، والصواب: معاوة

ابن المقفع

إمام البلاغة العربية وأحد الأساطين الثلاثة الذين أنشأوا النثر الفني في الأدب العربي وانتهت إليهم زعامته

ألفه عبد اللطيف حمزة المدرس بكلية الآداب

قدم له الأستاذ أحمد أمين بك عميد كلية الآداب

٣٥٠ صفحة الثمن ١٠ قروش صاغ والبريد ٣ قروش

يطلب من مكتبة الجامعة بشارع محمد علي بمصر

الحديث ذو شجون

للدكتور زكي مبارك

أحزان الاسكندريين توجه الفكر إلى نظرة فلسفية — بين الاحتلال والاستقلال — الاحتقلال — الألبان — محمود ونصف — غرائب التعابير — الكاتب السوي — شيطنة أدبية — هل في الأدب ديكتاتورية ؟ — بعض ما يجهل الشبان — صيد الحوت في بحر الشمال ! — كلمة صريحة إلى الأستاذ « فريد أبو حديد » .

أحزان الاسكندريين

وهذا خطاب جديد من الأستاذ عبد اللطيف النشار ، وهو يدعوني إلى أداء دَيْن الإسكندرية شعراً ، كما أديته نثراً ؛ ثم يهتف :

تبكي لغير ناطقٍ حزناً ولم ترها ... فكيف بالثغر يذوي تحت أعيننا

يزول يوماً فيوماً من محاسنه ... ما كان ملء الليالي بهجة وسنا

وأجيب بأن من العسير عليّ أن أوجه خيالي إلى فواجع الإسكندرية ؛ فما أدمت التفكير في نكبتها لحظات إلا شعرت بدُوار عنيف يزلزل إحساسي بالوجود

والأستاذ النشار يروي في خطابه حديث اليوناني الذي رأى بعيني رأسه رجلاً في جبة خضراء يخرج من قبر « أبي الدرداء » ويعتنق الطوربيد ؛ ثم يضمه في فناء المحافظة ، ويأمره بأن لا ينفجر[1] . (وهو الطوربيد الذي لم ينفجر في دار المحافظة على بعد ثلاثة أمتار من قبر أبي الدرداء ، وقد وجد الطوربيد ملفوفاً في بارشوت أخضر اللون)

ثم يقول الأستاذ النشار في ختام الخطاب :

« فاتني أن أؤكد لك أن شعور العامة أنه يومٌ دينيٌّ من كبار المواسم لظهور كرامة فيه لأبي الدرداء الذي قتله البرد كراهية منه للنار ، فهو يحمي الاسكندرية من الاحتراق »

وأقول : إني لا أعرف بالضبط أين دُفن أبو الدرداء ، ولا أعرف المكان الذي تحتله هذه « الرواية » بين الجِدّ والمزاح ، ولكني مع هذا لا أستبعد أن يكون للأموات أيادٍ في مصاير الأحياء ؛ فقد حبّرتُ أكثر من سبعين صفحة من صفحات « التصوف الإسلامي » في تأييد نظرية « وحدة الوجود » . ولم يبق عندي شكٌّ في أن الوجود كله مربوط برباط وثيق من الكهرباء ، بحيث لا تنتقل ورقة من الخضرة إلى الذبول ، ولا يتحول جسدٌ من الحياة إلى الموت ، بدون تأثير في الوحدة الوجودية ، وإن غفل عن ذلك من يكتفون بما تقع عليه الحواس

وإذن فمن حق الإسكندرية أن تستنجد بأرواح أبنائها البَرَرة والفَجَرة من أقدم عهودها إلى اليوم . ومن حقها أن تثق بأن كربها لن يطول ، لأنه ليس إلا مرحلة قصيرة من مراحل الوحدة الوجودية وهي تنتقل باستمرار من وضع إلى وضع بدون أن يظهر أنها تفرق بين السعود والنحوس

ثم ماذا ؟ ثم أقول بأنْ لا موت في هذا الوجود ، فليس فيه موجودٌ غيرُ حيّ ، ولو كان هباء تذروه الرياح ، فما كانت الحياة إلا عَرَضاً من أعراض الوجود ، لأنه في ذاته أصلٌ من الحياة ومن الموت

ولهذه الفكرة الفلسفية تفاصيل لا يتسع لها هذا الحديث

بين الاحتلال والاستقلال

دعونا أصدقاء الرسالة إلى الموازنة بين حالين من أحوال الشعوب : هما حال الاحتلال وحال الاستقلال ، فكيف أجابوا ؟

كان جواب الأديب « م . ف . م »[1] أن عهد الاحتلال في مصر كان أفضل من عهد الاستقلال ، ولكن كيف ؟

كانت جداول « المناوبات » تُنفَّذ بدقة في عهد الاحتلال ، وكان التلاميذ أكثر التفاتاً إلى الدروس ، وكان الزعماء أقوى وأقدر على النضال الشريف

وأقول إن هذه الشواهد لم تقنعني بأن الاحتلال أفضل من الاستقلال ؛ فجداول المناوبات لا تحتاج في مراعاتها إلى عناء ، وأنا مستعدٌ لنقل جميع شكاياته إلى وزير الأشغال

أما انصراف بعض التلاميذ عن الدروس فله أسباب غير الاستقلال . وأما قوة الزعماء في عهد الاحتلال فلا ترجع لمزية

(١) أنا لا أدغم « أن » التاصبة في « لا » النافية ، فأرجو حضرة المصحح أن يتفضل بمراعاة ذلك

(١) رمزنا إلى هذا الأديب لئلا يؤذيه التصريح في هذا الشأن الدقيق

أساسية من مزايا الاحتلال ، وإنما هي ثورة طبيعية يؤرثها الشوق إلى الاستقلال

ويقول هذا الأديب : « الاستقلال حلو ولذيذ ، ولكن ... »

وأقول إن الاستقلال لا يوصف بأنه حلو ولذيذ أيها الفلاح الأديب ، وإنما يوصف الاستقلال بأنه متعب وشاق ، لأنه يفرض على جميع أبناء الأمة أن يكونوا رجالاً أقوياء ، وأمناء ، والتسلح بالقوة والأمانة لا يُنال بغير جهاد عنيف

أما الأديب أحمد العجمي فيقول : إن صورة العبد الآمن في رحى سيده هي صورة الشعب الذي ينعم بالرغد تحت ظل الاحتلال ، ثم يقول إن الاستقلال ليس وسيلة وإنما هو غاية من أبعد الغايات في الحياة

وأنا أنتظر آراء أصدقاء « الرسالة » في هذا الموضوع الدقيق على شرط أن يتركوا العبارات الخطابية ، لأني أحب أن يتضح هذا الأمر بأساليب تفرس الإيمان الوثيق ، مع الترحيب بالآراء التي أبداها « فلاح التوفيقية » لأن أمثال هذه الآراء تتيح فرصاً كثيرة لتبديد الشبهات التي توجه إلى عهد الاستقلال

الرومنتيزم

ليست هذه كلمة الأستاذ إسعاف النشاشيبي ولا كلمة المرحوم أحمد زكي باشا ، وإنما هي كلمة تحتها اللغوي المحقق الأستاذ محمد وحيد الأيوبي

الألعبان

وما دام الحديث ذا شجون فأنا أذكر نادرة تمثل أخطار الأقلام في هذه البلاد ، وتبين أن عداوة الشعراء في العصر القديم ليست أخطر من عداوة الكتّاب في العصر الحديث ... والكاتب في زماننا أقدر من الشاعر على الإيذاء : لأن حرية التعبير تخلق له آفاقاً لا يصل إليها الشاعر المحبوس في قفص القوافي والأوزان ، ولأن للكاتب مجالات لا يجري فيها الشاعر ، وإن بالغ في التلطف والاحتيال

كان الأستاذ وحيد الأيوبي يعادي الزعيم سعد زغلول ، وكان يكتب في قدحه عبارات لذاعة تحت عنوان « الألعبان » أشهرها العبارة الآتية :

« الآن ، وبعد فوات الأوان ، يتكلم عن السودان ! أما ألعبان !!! »

وقد رأت « دار الهلال » أن تصدر مجلة فكاهية باسم « الألعبان » فرفضت وزارة الداخلية بحجة أن في هذا الاسم تعريضاً بالزعيم سعد زغلول ، وسمحت بأن يحول الاسم من وضع إلى وضع فيصير « الفكاهة » لا « الألعبان »

أليس هذا دليلاً على أن الكاتب خَلَفَ الشاعر في إيذاء الرجال ؟

اتقوا شر الكتاب ولا تخاطبوهم إلا باحتراس ، فهم شعراء هذا الزمان !

عمود ونصف !

كانت أطول مقالة للأستاذ عبد القادر حمزة لا تزيد عن عمود ونصف ، إلا أن يجدّ ظرفٌ ظاهر يوجب الترسل الفياض

أكتب هذا بمناسبة خطاب أرسله إليّ الأستاذ حافظ محمود سكرتير لجنة الاحتفال بتأبين صاحب البلاغ ؛ ومنه علمت أن الوقت لا يتسع لكلمتي في رثاء ذلك الصديق الغالي

ولو كانت لجنة الاحتفال تعلم الغيب لعرفت أن كلمتي في رثاء عبد القادر حمزة لم تكن تزيد عن عمود ونصف ، اقتداء بصاحب البلاغ في اكتفائه بعمود ونصف ، وتوجيهاً لمن يفوتهم أن بعض المقامات تجعل الإيجاز أبلغ من الإطناب

أنظروا ، ثم انظروا ، عواقب المخلصين !

كنت وحدي الصديق لصاحب البلاغ في كثير من العهود ، وأنا اليوم لا أجد فرصة أتحدث فيها عنه بما أشاء ، لأن الموت صرف عنه العداوات الوقتية ؛ فأصبح أصدقاؤه يعدون بالألوف وألوف الألوف ، بحيث يتعذر على أصدق محبيه أن يودعه بكلمة رثاء في محفل مشهود

ما أسعدني بما صرتُ إليه يا أخي وصديقي !

لقد كنت أخشى أن تلاحقك العداوات فلا يقوم بتأبينك رجلٌ غيري

ولكن نحن في مصر ، يا أخي وصديقي ، مصر التي تحفظ الجميل لأبنائها الأوفياء وإن تظاهرت حيناً بالتنكر لجدهم الأصيل

غرائب التعابير

إن قلت : « كان المرحوم مصطفى كامل يطالب بالجلاء » كانت « المرحوم » كلمة خفيفة الوزن في الترحم على رجل من

نوادر الزعماء ، وإنما ينبغي أن تقول : « كان المغفور له مصطفى كامل ... »

وإن قلت : « كان مصطفى رحمه الله يرى ... » كانت عبارة « رحمه الله » عبارة جميلة . وإن قلت : « كان مصطفى كامل غفر الله له يرى ... » كان في عبارة « غفر الله له » تعريض !

فالوصف يخالف العبارة المأخوذ عنها في القيمة الأدبية ، بلا موجب معقول ، وإنما كان ذلك لأن التعابير لا تأخذ قوتها من المنطق في جميع الأحيان ، وإنما تخضع للعُرف وهو الذي يكوّن الإحساس

اللقب العمومي

وحين دُعي السنيور ميكلانج جويدي للتدريس في الجامعة المصرية سنة ١٩٢٧ كان عليه ذوقياً أن يقول في المحاضرة الافتتاحية كلمة ثناء على مدير الجامعة والسكرتير العام ، ولم يلتفت إلى اللقب الأخير من الوجهة الاصطلاحية ، وإنما ترجمه عن الفرنسية فجعله « الكاتب العمومي » فضحك الجمهور ، وخرج على بك عمر رحمه الله ، وهو ساخط على « ذوق » المستشرقين !

وكان علي بك عمر هو السكرتير العام للجامعة المصرية في ذلك الحين

شيطنة أدبية !

كنت قلت : إن مجلة الثقافة لا تدقق في اختيار ما تنشر من الأشعار ؛ فاعترض أديبٌ لا أسميه بأن مجلة الرسالة تقع في مثل هذا الخطأ بنشر أشعار محمود حسن إسماعيل ! !

والاعتراض غير مقبول ، مع الاعتراف بما فيه من طرافة الشيطنة الأدبية

هل في الأدب ديكتاتورية !

يصر الأديب عزت حماد منصور على القول بأن في مصر ديكتاتورية أدبية ، وبأن الأدباء الشباب يعانون عداء من الأدباء الكهول ، ثم يعجب من أن تتاح الفرصة لظهور بعض الشبان دون بعض ، كالذي تصنع « الرسالة » في نشر مقالات هذا الأديب ، وإغفال مقالات ذلك الأديب ، بلا حدود واضحة تبين سبب النشر وسبب الإغفال

وأجيب بأن من الصعب أن أصدق أن لمجلة الرسالة نية في تقديم فريق على فريق ، وإنما يرجع الأمر كله إلى « سياسة القول » فالأديب الشاب قد يتوهم أن له أن يقول ما شاء ، متى شاء ، بدون أن يلاحظ أن الكلام مقامات لا يدركها غير كبار العقول ، وهذا هو السر في إغفال أكثر مقالات الشبان

وأنا أعرض للموضوعات الآتية :

١ — النص على غلطة جوهرية فيما تنشر « الرسالة » لكتابها المرموقين

٢ — تقديم إقتراح مبتكر لم تنشره الجرائد فيما يجب لإغاثة المهاجرين

٣ — إعداد بحث موجز في تاريخ المدائن التي تعاني أهوال الحرب

٤ — كلمة وجيزة عن الألفاظ التي حرفتها الجرائد أيام الثورة العراقية ، مثل : « باكويا » و « فالوجا » في مكان : « بَشْقُويه » و « الفَلّوجة »

٥ — كلمة في نقد أسئلة امتحان المسابقة لترقية التعليم الثانوي

٦ — كلمة في التعقيب على أحاديث رئيس الوزراء بأسلوب بريء من التحامل والإسفاف

٧ — مقال موجز « عن خط ستالين »

٨ — كلمة عن الأماكن التي سميت باسم « ماجينو » في القاهرة قبل أن يستولي عليه الألمان

٩ — قصيدة في الترحم على « قِطار البحر » وأيامه البيض

١٠ — قصيدة في التوجع لمكاره التي تعانيها سورية ولبنان وقد أصبحتا ميادين حروب لثلاثة جيوش

١١ — خبر أدبي لا تعرفه اللجنة التي ألفت لتأبين صاحب « البلاغ »

١٢ — أقصوصة تصور سخرية الإسكندرية من غرور المعتدين

١٣ — كلمة عن نوادر المخطوطات في مكتبة الإسكندرية لتسارع بنقلها إلى مكان أمين

١٤ — مقال وجيز تحدد به الأغراض الصحيحة لوزارة الشؤون الاجتماعية

١٥ — كلمة صريحة في الأسباب التي دعت إلى انصراف فريق من الشبان عن الزواج

١٦ — دعوة الجامعة إلى إنشاء قاعة للمحاضرات فى قلب مدينة القاهرة

أما بعد فأنا أقرر للمرة الأولى بعد الألف أن الأدب من صور الحياة ، فافهموا عصركم وتأثروه ، يا أبناء هذا الجيل ، ليكون فى أدبكم قوة وروح ، ولا تصنعوا ما صنع الأديب الذى سخر منه صاحب مجلة « منبر الشرق » وقد توهم ذلك الأديب أن الكلام فى اليأس والترحيب بالموت يُقبَل من جميع الناس وفى جميع الأحايين

بعضهم جاهل بجهل الشباب

والشبان يتوهمون أن الكتّاب المشاهير[1] لا يُرَدُّ لهم قول ، وهذا خطأ فظيع ، فلأولئك المشاهير مقالات يطوونها آسفين ، إلى أن تسمح بنشرها الظروف

قضيت عامين كاملين فى تعقب « اسكندرية أبى الفتح » ولم أر فرصة لنشر هذا البحث ، لأن الأستاذ إسعاف النشاشيبى سكت عنه بعد أن تعرض له فى مجلة « الرسالة » منذ ثلاث سنين

الشباب وصيد الحوت

حدثنا الأستاذ أنطون بك الجميّل قال :

« كان لأحد الأدباء مقال مؤجّل فى جريدة الأهرام ، واشتط هذا الأديب فى السؤال عن مصير ذلك المقال ، فقيل إن الجريدة مشغولة بقضية المؤامرات ، فقال : إن موضوع مقاله أهم من تلك القضية ، فقيل : وما الموضوع ؟ فأجاب : صيد الحوت فى بحر الشمال ! »

ومن المؤكد أن هذه قصة خيالية من مبتكرات رئيس تحرير الأهرام ، وإن أقسم على صحتها بأغلظ الإيمان

ولكن لهذه القصة أشباه ونظائر تقع فى كل يوم ، فأكثر أدباء الشباب يصيدون الحوت فى بحر الشمال ، ولو سادوه فى أيام الهجوم على الخروج لكان كلامهم فيه من ألطف ما تنشر الجرائد والمجلات

ولكنهم مع الأسف يصيدون فى غير أوقات الصيد

الى الاستاذ فريد أبو حديد

صديقى العزيز

قراء « الرسالة » يذكرون — إن كنتَ نسيت — أنى وجهت إليك تحية خالصة بمناسبة سفرك إلى السودان ، وهى تحية لم أرد بها التودد إليك ، وإنما أردت بها إكرامك وإعزازك ، على نحو ما أصنع فى التنويه بمواطنى الفضلاء حين يمضون لأداء بعض الواجبات فى أحد البلاد العربية أو الإسلامية

فما الموجب للكلمة الجافية التى ندّت عن قلمك فى مخاطبتى ؟ وكيف تصنع بنفسك هذا الصنيع فتنفّر أحد محبيك بدون أن تفكر فى عواقب ذلك ، وقد أصلحت الأيام ما كان بينى وبينك ؟

هل يؤذيك أن أثير المنافسة بين « الرسالة » والثقافة ، وأنت تعرف أن المنافسة من أقوى الأسباب فى إذكاء العزائم والعقول ؟ وهل تنسى أن المنافسة بين هاتين المجلتين واقعة بالفعل وأن زملاءك فى مجلة الثقافة يحسبون لها ألف حساب ، ويتقون نارها بالصبر الجميل ؟ وهل تنكر فضل هذه المنافسة عليك وقد أخرجتك من وقارك فقلت ما قلت فى صديق لم يكن يسرّك أن يثور بينك وبينه خلاف ؟

ثم تنكر علىّ أن أوجه نصيحة إلى كتّاب « الثقافة » مع أنكم استفتيتم قراءكم سنة كاملة ليدلوكم على سنن الصواب فى الترجمة والإنشاء !

وشاء لك الذوق أن تدعونى إلى الحرص على جمال الأسلوب فكانت هذه الدعوة دليل الوهم بأنك صرت كاتباً له أسلوب ؟ والوهم يصنع بأصحابه ما يشاء

وتلطفت فقلت : « لفت نظرى أحد الأصدقاء إلى أن الدكتور زكى مبارك ذكر اسمى فى شجون حديثه » فهل يكون معنى ذلك أنك لا تقرأ بنفسك ، وإنما ترفع الأخبار إليك فى جُذاذات ، كما تُرفع إلى بعض المقامات ؟ تواضع قليلاً ، يا أستاذ فريد ، ليفتح الله عليك !

وتقول إنى لقيتك عفواً فحمّلتنى تحية أهل السودان إلى الأستاذ الزيات ، وأقول إنى لقيتك عمداً لا عفواً لأهنئك بسلامة العودة ، ولأقبس بعض ما طبعت تلك الزيارة على وجهك من نور وصفاء !

أما بعد فأنا غير نادم على التحية التى وجهتها إليك ، لأنى لم أكن أنتظر منك أى جزاء ، ولأنى أرجو أن أتحفك بمثلها فى مناسبة ثانية ، إن أراد الله أن يجعلك أهلاً لكرائم التحيات ، ولعله يريد !

زكى مبارك

(١) يجوز جمع مشهور على مشاهير ، ولو كره بعض المتعذلقين ؟

دمشق ...

للأستاذ على الطنطاوى

« دمشق ! » ... وهل توصف دمشق ؟ هل تصور الجنة لمن لم يرها ؟ من يصفها وهى دنيا من أحلام الحب وأمجاد البطولة وروائع الخلود ؟ من يكتب عنها (وهى من جنات الخلد الباقية) بقلم من أقلام الأرض فانٍ ؟

دمشق : التى يحضنها الجبل الأشم الرابض بين الصخر والشجر ، المترفع عن الأرض ترفع البطولة السمحة ، الخاضع أمام السماء خضوع الإيمان الصادق ... دمشق التى تعانقها الغوطة ، الأم الرؤوم الساهرة أبداً ، تصغى إلى مناجاة السواقى الهائمة فى مرابع الفتنة ؛ وقهقهة الجداول المنتشية من رحيق بردى ، الراكضة دائماً نحو مطلع الشمس ، تخوض الليل إليها لتسبقها فى طلوعها ؛ وهمس الزيتون الشيخ الذى شيبته أحداث الدهر فطفق يفكر فيما رأى فى حياته الطويلة وما سمع ، ويتلو على نفسه آيات حكمته ؛ وأغانى الحور الطروب الذى ألهاه عبث الشباب ولهو الفتوة عن التأمل والتبصر ، فقضى العمر ساحباً ذيل المجون ماشياً عجباً وتيهاً ، خاطراً على أكتاف السواقى وعلى جنبات المسارب يتنازل النهد الحسان من نبات الشمس والرمان ، ويميل عليها ليقطف فى الربيع وردة من خدها ، أو ثمرة من قلائد نحرها ، ثم يرتد عنها يخاف أن تلمحه عيون الجوز الشواخص ، والجوز ملك الغوطة جالس هناك بجلاله وكبريائه ، ولا جلال ملك تحت تاجه ، وعامل فوق عرشه

دمشق : التى تحرسها (الربوة) ذات (الشاذروان) ، وهى خاشعة فى محرابها الصخرى تسبح لله وتحمده على أن أعطاها نصف الجمال حين قسم فى بقاع الأرض كلها النصف الثانى ... وما الربوة إلا حلم ممتع غامض يغمر قلب رائيه بأجل العواطف التى عرفها قلبه بشرى فيذكّر كل إنسان بليالى حبه وساعات سعادته ، ثم يتصرّم الحلم ويستحيل إلى ذكرى حلوة لا تمحوها الأحداث ولا تطغى عليها سيول الذكريات ... الربوة : لحن من ألحان السماء ألقته مرة واحدة فى أذن الأرض ... الربوة هى الربوة لمن يعرفها وكفى !

* * *

دمشق من أقدم مدن الأرض وأكبرها سناً وأرسخها فى الحضارة قدماً . كانت مدينة عامرة قبل أن تولد بغداد والقاهرة وباريس ولندن ، وقبل أن تنشأ الأهرام وينحت من الصخر وجه أبى الهول ، وبقيت مدينة عامرة بعد ما مات أترابها واندثرت منهن الآثار ، وفيها تراكم تراث الأعصار ، وإلى أهلها اليوم انتقلت مزايا كل من سكنها فى سالف الدهر ، ففى نفوسهم من السجايا مثل ما فى أرضها من آثار التمدن وبقايا الماضى طبقات بعضها فوق بعض ... فالحضارة تجرى فى عروقهم مع الدماء ، وهم ورثتها وحاملو رايتها ، وهى فيهم طبع وسجية ؛ ولقد تكون فى غيرهم تطبعاً وتكلفاً ، فأى مدينة جمع الله لها من جمال الفتوة وجلال الشيخوخة كالذى جمع لدمشق ؟

وأصعد جبل دمشق حتى تبلغ قبة النصر (التى بناها برقوق سنة ٨٧٧ للهجرة ذكرى انتصاره على سوار بك)[1] . ثم انظر وخبرنى هل تعرف مدينة يجتمع منها فى منظر واحد مثل ما يجتمع من دمشق الواقف عند قبة النصر ؟ أنظر تر البلد كله ما يغيب عنك منه شىء : ها هنا قلب المدينة وفيه الجامع الذى لا نظير له على وجه الأرض — لا أستثنى ولا أبالغ — وقبة النسر تعلو هامته كتاج الملك ، لا بل كعمامة الشيخ ، وها هى ذى مناراتها التى تعد مائة وسبعين منارة ، منها عشرون من أعظم منارات العالم الإسلامى ، قد افتن بنّاها فى هندستها ونقشها ، فاختلفت منها الأشكال واتفقت فى العظمة والجلال ، لا كمآذن بغداد التى لا يختلف شىء منها عن شىء ، فإذا أبصرت منها واحدة ، فكأنما أبصرتها جميعاً ... يحف بذلك كله الغوطة الواسعة التى تبدو للناظر كأنها بحر من الخضرة قد نثرت فيها القرى التى تنيف على الأربعين عدا ، أكبرها (دوما) ذات الكروم ، و(داريا) التى تفاخر بعنبها كل أرض فيها عنب ، (وحرستا) بلد الزيتون ومنبت الإمام محمد صاحب أبى حنيفة ، (وجرمانا) وهى حديقة

(١) وهذا جواب الذى سأل عن تاريخ هذه القبة فى عدد مضى من « الرسالة » ، أما القبة الثانية ، فقد بناها الأمير سيار الشجاعى وسميت باسمه

ورد ، وكفر سوسية ، وكفر بطنا ، والأشرفية ، وعهنايا ، والمآذن وهي مائلة خلال الأشجار ، ووراء الغوطة سهول المزة عن اليمين ، وسهل القابون عن الشمال ، وبطاح من الأمام ، وسهول تمتد إلى الأفق ، حيث تغيب الجبال البعيدة في ضباب الصباح ، ووهج الظهيرة ، وصفرة الطفل ، وسواد الليل ...

إنك تشمل هذا كله بنظرة منك واحدة وأنت قائم مكانك ، فأين يا صديقي القارئ ترى مثل هذا ؟

* * *

وبردى ؟ لما قدم شاعر العرب عاصمة العرب ومر على بردى وهو يمشي بين قصر أمية ودار البلدية مشية العاجز الهرم ، قال له صاحبه مستقلاً بردى مستخفاً به : أهذا الذي ملأت الدنيا مدحاً له ؟ يظن صاحب شوق أن النهر بكثرة مائه وبعد ضفتيه . ما درى أن بردى هو الذي يجري في الوادي زاخراً متوثباً نشيطاً لا الذي يجري في (المرجة) منهافتاً كليلاً ، وأنه هو الذي أطعم دمشق الخبز ، وهو الذي زرع بساتين الغوطة ، وهو الذي أنار دمشق بالكهرباء وسيّر فيها وفي غوطتها (الترام) ، وهو الذي لا تضيع قطرة منه واحدة على حين تمر دجلة على بغداد مرّ الكرام ، تقرأ عليها السلام ... ثم تحمل خيرها كله لتلقيه في البحر ، لا تمنح بغداد منه إلا ما تأخذه بالمضخات والنواعير التي لا تسير إلا بمال . فمن رأى مثل بردى (في بره بارضه وكثرة خيراته) نهراً ؟ من ذاق أطيب من مائه ؟ من أبصر أجمل من واديه ؟ ...

* * *

لقد علم بردى أبناءه الولع بالخضرة والظلال ، وحبب إليهم أفانين الجمال ، فصارت النزهة (السيران) من مقومات الحياة في دمشق لا تحيا أسرة إلا بها ، ولا تستغني عنها ، فهي لهم كالغذاء ، فهل يستغني عن الغذاء ؟ هل يمكن أن يجيء يوم صائف من أيام الشتاء فتبقى دمشقية أو يبقى دمشقي في بيته لا يؤم (المهاجرين) ، حيث يجتمع على الشعاف والصخور وفي ظلال الآس الرجال والنساء على طهر وعفاف ، وتدور أكواب الشاي (الأخضر) خمر المسلمين ، وتنطلق بالغناء الساحر أوتار الحناجر وتجري خيول السبق في ساحة الجريد ؛ ثم إذا جاء وقت الصلاة قاموا إليها فلا ترى إلا جماعات وأمة ، ثم ينفض اجتماعهم عن طرب وفروسة وعبادة ، وتلك هي المثل العليا لأهل الشام

وهل تمر أمسية من أمسيات الصيف على دمشق قاعد في دكانه أو قابع في بيته ؟ تعال انظر جماعتهم في قهوات (شارع بغداد) وفي كل قهوة مؤذنها (إي والله) وإمامها . وعلى ضفاف بردى عند (صدر الباز) وفي (الميزان) أجمل موضع في دمشق ، وأمامهم سماورات الشاي المسفر الرشيقة ، وفي كل حلقة مغنيها ، وليس مثل الشاميين في الولع بالغناء ، فلا ينفرد الرجل بنفسه إلا غنى لها ؛ فالفلاح وهو نازل من قريته مع الفجر يغني ، والحوذي وهو يسوق عربته إلى (جسر تورا) أو إلى (كيوان) يغني ، وأجير الخباز وهو يحمل المعجن على رأسه يغني ، ونداء الباعة كله غناء وشعر ...

قف ساعة على ظهر الطريق واسمع ما ينادي به الباعة تر عجباً لا شبيه له في البلاد ؛ قصائد من الشعر غير أنها مرسلة القوافي ، وطرائف من الغناء غير أنها محلولة القيود ، تمشي إلى القلوب طليقة حرة لا تسمى شيئاً باسمه ؛ وإنما هي مجازات وكنايات ، عجب منها بعض من كتب عن دمشق من سياح الإفرنج فتساءل في كتاب له عما نظم الباعة هذه الأشعار الرقاق !

وتعال استمع هذا البائع وهو يتغنى بصوت يقطر عذوبة وحناناً (ياغزل البنات ، ياما غزلوك في الليالي ، ياغزل البنات) ويضغط على (الليالي) ويمد (البنات) ، هل يستطيع قارىء أن يحرز ماذا يبيع هذا المنادي ! لا لن أقول فتعالوا إلى دمشق لقد كلوا غزل البنات ... وهذا بائع يهتف بكلمة واحدة لا يزيد عليها (الله الدايم) هل يقع في حسابك أنه يبيع (الخس) ، وأن (يامهون يا كريم) نداء بائع (الكعك) عند الصباح ، وأن من الباعة من ينادي بالحكم النوالي كهذا الذي ينادي : (ويل لك يا ابن الزنا يا خاين) فيفهم الناس أنه بائع (الترخون)

أولا يشجيك ويثير سواكن أشجانك بائع العنب حين تدنو أواخره فينادي بصوت حزين (هدوا خيامك وراحت أيامك . مابقي في الكرم غير الحطب ياعنب ، ودع والوداع لسنة ياعنب) ألا تحس كأنه يودع حبيباً له عزيزاً عليه ؟ وبائع العسل (أي الشمندر) وقد أوقد ناره في الصباح البارد ، ووضع (حلته)

وصفف رؤوس الشمندار الأحمر[1] ونادى فى أيام الشتاء (بردان! تعال صوبى بردان ... أنا بياع العسل) ألا يحبب إليك أكل العسل ؛ واسمع العجائب فى نداء بائع الملفوف (البخنا) : (يخنا واطبخ ، والجارية بتفتخ ، والعبد عَ الباب ، يقلّع الكلاب) وبائع الحمص للسلوق (البلية) : (بلية بلبلوك ، وسبع جوار خدموك ، يا بلية) ، وبائع الزعرور : (أبيض أحمر يا زعبوب ؛ تمر حنى يا زعبوب ، البزر بن يا زعبوب) ؛ واستمع إلى الشعر والخيال فى نداء بائع الجرادق (يامارماك الهوا ، وقلبى انكوى ، يا ناعم) . وبائع التين (دابل وعلى دبالك يا عيون الحبيب ، ومن دباله يعشى لحاله) ؛ وبائع الباذنجان (أسود ومن سواده هرب الناطور) ألا تعجبك صورة الناطور وقد هرب من سواد الباذنجان؟

وهذا كله كان من ولع الشاميين بالغناء وإقبالهم عليه حتى انعقد إجماع فقهاء الذوق فيهم على أنه لا يصح اجتماع أو سمر إلا بالغناء ؛ وإذا سها عنه ساه ، فكفارته إطعام عشرة أصدقاء صدر كنافة شامية ، أو صدر (كل واشكر) أو غير ذلك من الحلويات التى لا يخالف أحد فى أن دمشق أبرع مدينة فى صنعها . وأسألوا محل (أسدية) فى القاهرة، ومطعم الفردوس فى بغداد، واذكرونى بالخير ، فإن الدال على الخير كفاعله

والدمشقيون أكرم الناس ، وأشدهم عطفاً على الغريب ، وحباً له ، فهم يؤثرونه على الأهل والولد ؛ ومدينتهم من أنظف المدن لتدفق مائها وكثرة أنهارها ، ووصولها إلى الأحياء كلها ودخولها البرك فى الدور ، حتى لا يخلو حى من نهر . فنهر (يزيد[2]) يسقى الصالحية ، و (تورا) يسقى القبيبة وسوق ساروجا[3] ، و (بانياس) يسقى القيمرية ، و (قنوات) يسقى حى القنوات ، وقد أخذت مياه عين الفيجة (وهى من أصفى العيون وأعذبها تنبع من جبل على عشرين كيلاً من دمشق) فصيّرت مياهها فى بطون الجبال حتى أبلغت دمشق فأدخلت دورها ، فشرب منها الناس أعذب ماء وأبرده . والشاميون مولعون بالنظافة والطهارة ، حتى أنه ليعدّ من أكبر عيوب المرأة ألا تغسل أرض دارها كل يوم مرة أو مرتين بالماء غسلاً وتمسح جدرانه وزجاجه ، على رحب الدور الشامية ، واتساع صحونها ، وكثرة مرمرها ورخامها . وادخل المساجد تر بلاطها يلمع كالمرايا ، ويحبب الصلاة إلى من ليس من أهلها . وعرج على المطاعم تبصر الأطعمة مصفوفة أمامك فى القدور الصغار النظاف بأناقة تجمع الشبعان ، ونظافة تطمئن إليها نفس الموَسوِس[1] . أما ألوان الطعام فى الشام فلا يضاهيها شىء فى غيرها ، وما أكل الغريب فى دمشق حلواً ولا حامضاً ولا حاراً ولا بارداً إلا استطابه وفضله على طعام بلده ، وما استطاب الشامى فى غير بلده طعاماً قط . ومن خير مطاعم مصر والعراق ، وأمدها طعاماً وأحسنها نظاماً ، ما كان صاحبه شامياً أو كان على مذهب أهل الشام . ثم إن خدم المطاعم والقائمين عليها طيّبون أذكياء ، وهم يدركون بالمحة السريعة ، ويفهمون بالإشارة الخفية .

ودمشق أرخص بلاد الله وفيها النعيم المقيم ولا تخلو من ثمر قط لا فى الصيف ولا فى الشتاء . أما جودة ثمارها فأشهر من أن تذكر ؛ وفيها من العنب ما يزيد على خمسين نوعاً ، ومن المشمش تسعة أنواع ، ومن التين قريب من ذلك ، ومن الدراق والكمثرى والتوت الشامى والجوز واللوز ما لا يوجد مثله فى غيرها

والدمشقيون أهل براعة فى الصناعة وعندهم من المعامل الكبيرة معمل للاسمنت عظيم (فى دمّر ظاهر دمشق) ومعمل للأمقار (الكوتشروه) لا نظير لما يصنعه . ومعمل للدباغة كبير ، ومعمل للجوخ ، ومعامل كثيرة لا تحصى للمنسوجات القطنية والصوفية والحريرية والجوارب (والكرافات) ، ومعمل للزجاج ، ومعامل صنعت أكثر أنواع الأدوية وحكم الأطباء بجودة ما تصنعه ، ومعامل لأنواع الشكاكر والمربيات (والشوكولاته) . وفى دمشق مدرستان للعلم الدينى فيهما

(١) وما رأيت فى العراق أنهم يأكلون الشمندر : الفت المسلوق ويدمونه الثلغم

(٢) نسبه إلى يزيد بن معاوية

(٣) نسبه إلى ساروجا من أمراء المماليك

(١) بصيغة الفاعل ـ كذا يضبطها الفقهاء ـ أى يوسوس لنفسه

أكثر من ثمانمائة طالب متعلم فضلاً عن الصغار، ومدرسة للطب تدرس العلوم كلها بالعربية؛ ولأساتذتها فضل كبير على ما وضع من المصطلحات العلمية فى لغة العرب. وفيها مدرسة للحقوق العربية. وفيها أنشئ أول مجمع علمى عربى صحيح. وفى الشام كثير من الآثار الباقية من القرون الخالية: كالقلعة والسور، والمدارس، والمارستانات، والمساجد القديمة، والربط والخانات، ولكل من ذلك حديث طويل وتاريخ حافل، ولكن الأدلاء الجاهلين لا يعرفونها ولا يدلون السياح عليها. وفيها مدافن كثيرين من أعلام الإسلام فى السياسة والعلم والأدب والتصوف. وفى مكتبتها الظاهرية نوادر المخطوطات، حتى أنها لتعد أغنى الخزائن الإسلامية بكتب الحديث. وفى المكتبات الخاصة مخطوطات فريدة. ودمشق ذاخرة بالعلماء فى كل فن وعلم

وليس للعروبة مثل دمشق موئلاً وملاذاً، وليس فى المسلمين مثل أهلها تمسكاً بالدين وإقامة لشعائره، فمساجدها معمئة أبداً؛ فيها كل شاب متأنق تراه قتحسبه من شراب مياه النايمس أو السين، وهو مسلم حقاً، مؤمن صدقاً، ناشئ فى طاعة الله؛ ومساجد بلاد العرب إن امتلأت فبالشيوخ والشيب!

والمنكرات فى دمشق مقموعة وأهلها الأذلاء. وللعلماء العقلاء المخلصين منزلة عند أهل دمشق ليس لأحد من أبناء الدنيا مثلها. والسفور فى نساء الشام قليل نادر، والاحتشام والستر عام شامل. وأهل الشام كلهم فى الرضا رقته وسيلانه، وفى الغضب شدته وطغيانه، بل ربما كان لهم من البركان فورانه وثورانه

* * *

وبعد فأى مزاياك يا دمشق أذكر، وإلى أى معاهدك أشتاق، وأيها أحن إلى حسنه وأهيم بجماله، وفيك الدين وأنت الدنيا، وعندك الجمال وعندك الجلال، وأنت ديار المجد وأنت ديار الوجد، جمعت عظمة الماضى وروعة الحاضر، وسيكون لك المستقبل... المستقبل لك يا دمشق، عشت وعاش بنوك والسلام عليك ممن غربته عنك وأنكرته، وأشقيته بالوفاء حين أسعدت بالغدر الغادرين

علي الطنطاوي

من دموع عذراء

العبير النائح

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

إنِّى أَرَاكِ كَزَهْرَةٍ فى الناب نائحةِ العَبِيرْ
مَذْعُورَةِ الأكمامِ بَيْنَ خُطَا السَّمائمِ والهجيرْ
عَذراء يَتْمَهَا الخَرِيفُ فلا ظِلالَ ولا غَدِيرْ
سَكَنَتْ كَطَيْفٍ مُعذَّبٍ وَهَفَتْ كَآهَةِ مُسْتَجِيرْ
وَدَنَا الظَّلامُ فَلَفَّهَا فى ثَوْبِ مَحْزُونٍ كَسِيرْ
فَكَأَنَّهَا فى لَيْلِهِ سِرٌّ يُغَلِّفُهُ الضَّمِيرْ
وَكَأَنَّهَا فى فَجْرِهِ حُلْمٌ يَطِيرُ وَلا يَطِيرْ...

يَا لَيْتَنِى كُنْتُ الظَّلالْ
أَوْ كُنْتُ يَنْبُوعَ التِّلالْ
لَسَكَبْتُ عُمْرِىَ فى الرِّمالْ
رُوحًا يُرَفْرِفُ كَالخَيَالْ

يَسْقِيكِ مِنْ شَفَةِ الرَّبِيعِ رَحِيقَ فِتْنَتِكِ النَّضِيرْ
وَيُحِيلُ مَهْدَكِ جَنَّةً لِلْحُبِّ وَالهَةَ الأَثِيرْ
أَنَا فى رُبَاهَا نَسْمَةٌ بِسِوَى ضِفَافِكِ لا تَسِيرْ!
أَنَا فى ثَرَاهَا جَدْوَلٌ لِصِبَاكِ رَفْرَاقٌ نَمِيرْ!
أَنَا فى شَذَاهَا نَفْحَةٌ عِطْرُ الخُلُودِ بها أَسِيرْ!
أَنَا فى سَمَاهَا كَوْكَبٌ فى بُرْجِهِ بِكِ يَسْتَنِيرْ!
أَنَا فى هَوَاهَا قُبْلَةٌ حَرَّى تُخَلِّدُهَا السَّعِيرْ
سَتَظَلُّ فى شَفَتَيْكِ لا تَرْوَى إلى اليَوْمِ الأَخِيرْ

محمود حسن إسماعيل

من حديث الثغر الحزين

للأستاذ عماد الدين عبد الحميد

في مثل هذه الأيام من كل صيف مضى ، كان الناس — أو قل كان من الناس من تسمح لهم مقدرتهم وأوقاتهم بقضاء أشهر أو أسابيع أو أيام مع عروس البحر الأبيض كما يدعونها — يرون الإسكندرية ، وقد بدت عروساً سعيدة في أكمل زينة وأبهى منظر

كان هؤلاء يلجأون إليها ، هاربين من حرارة الصيف لا يطيقونها ، يرجون عندها معاني الراحة والاطمئنان ، وينشدون فيها الهناءة والسعادة . فتتلقاهم الإسكندرية مرحبة بهم ، مكرمة لهم ، باذلة كل جهد لتكون عند حسن ظنهم بها ، غير مترددة في أن تظهر أمامهم — أو بهم — في صورة من الحرية المرحة أو السرور المطلق ، نازعة عنها قيود التقاليد الموروثة ، متحملة كثيراً من أنواع النقد اللاذع ، يتقاذفها نكضم هائج لا كوجها الهادىء ... حين تسرف في إكرامهم ، ولكن في ألوان المتعة الساخرة الساحرة !

كانوا يلجأون إليها في مثل هذه الأيام من كل صيف ، يقاسمونها ما وهبها الله من نعمة الطبيعة ، ويشاركونها فيما منحتها الطبيعة من سحر ، ولا أنكر أنهم كانوا يعطونها شيئاً ما مما أعطتهم الأيام ، ولكنهم كانوا أخيراً يتركونها إلى حيث يعودون جميعاً ، وقد بقيت وحدها حتى الصيف التالي رمزاً للعبث كما يراها بعض من الناس ، أو سورة لأمنية سعيدة في خيال بعض آخر لم تحقق له الأيام رجاءه من القدرة على أن يكون من روادها السعداء

يعودون ، لتستقبل جماعة منهم العمل ، ولتستقبل جماعة أخرى أنواعاً جديدة من لذة الشتاء ، وتبقى أذهان هؤلاء وأولئك ثملة برحلة الصيف ، سكرى بذكرياتها ، تستمد من تلك الذكريات الجميلة عوناً على قضاء الأيام حتى تستقبلهم الإسكندرية مرة أخرى ، طروباً ساخرة

***

إشهدوا الإسكندرية كرقصة مرحة صاخبة يأخذ كل قادر منها بنصيب ، ثم لا يهدأ إلا ليأخذ منها بنصيب جديد ... واسمعوها كأغنية عذبة طويلة من مطرب موهوب محبوب ، لا تكاد تنتهي حتى يرجو السامعون لو أعيدت من جديد ... وحتى بعد أن قضى على أنوارها الباهرة بأن تلبث ثوباً من الزرقة القاتمة منذ سنين . إسمعوها في الليل كقطعة موسيقية صامتة تلعبها أنامل طيف ماهر على أوتار القلوب !

إشهدوها واسمعوها كذلك ، ثم انظروها وقد لبست في هذا الصيف ثوب الحداد على شهداء أعزاء ... واسمعوها ، اسمعوا منها تلك الأغنية العذبة ، وقد تبدلت نجاة ، فإذا هي عويل وبكاء ... وأنصتوا لموسيقاها الصاخبة ، وقد أضحت لحناً حزيناً خافتاً بين الأطلال ...

إسألوا هؤلاء الذين كانوا بالأمس يسعون إليها هرباً من حرارة الجو ... ماذا قدموا لها اليوم حين سمت إليهم هرباً من جحيم الشيطان !

إسألوا هؤلاء ماذا قدموا من خير — وهم قادرون — للأمهات الحزينات فقدن العائل وتفقدن الأبناء !

إسألوهم ماذا قدموا من عون اليتامى ، وقد هاموا على وجوههم حائرين ، ضلوا سبيل الحياة !

إسألوهم ماذا قدموا من مالهم لمن صار محروماً !

إسألوهم ماذا قدموا من مقدرتهم لمن أصبح عاجزاً !

إسألوهم ماذا قدموا من قوتهم وصحتهم لمن صار ضعيفاً عليلاً !

إسألوهم ماذا قدموا من خبزهم للجياع ، وماذا قدموا من كسائهم للعرايا ... وماذا قدموا من دورهم للمشردين !

بل سلوهم ماذا قدموا من كلمة مواساة لهؤلاء ، علها أن تخفف شيئاً من وقع المصاب !

ترى هل يجيبون ... ؟ يقيناً أنهم لا يجدون الجواب !

فكم منهم ذكر الأسكندرية في محنتها بشيء ؟ وبأي شيء ذكرها هذا البعض القليل الذي ذكر ... ؟!

***

أيتها الدنيا : إنك لغادرة خادعة !

أللّه ! . . .

DIEU

لشاعر الحب والجمال لامرتين

بقلم الأستاذ محمد أسعد ولاية

[لما وجه لامرتين هذه الأبيات إلى « لامنيه » كان يومئذ على اتصال به منذ أمد قريب حيث استهواه الباب الأول من بحث ديني في « التكران » عام (١٨١٧) ، فأنشأها خلال رحلة قام بها على جواد بين باريس وديجون في الأيام الأولى من مايو عام (١٨١٩) . وهذه القصيدة التي ترتبط بنوع تعليمي تكاد تشتمل على أروع أبيات تحدد وتصف القدرة الالهية ، ويندر أن يستند الشعر الفلسفي إلى إلهام متقد إلى هذا الحد]

(الى الراهب ف . د . لامنيه)

نعم ، إن روحي لتبتهج بالتحلل من قيودها :
طارحة عبء البؤس البشري ،
تاركة حواسي تهيم في هذا العالم ، عالم الأشباح ،
حيث أصعد إلى عالم الأرواح بدون عناء .
هنالك أطأ تحت أقدامي هذا العالم المنظور ،
وأرتع حراً في ساحات الخفاء .
إن روحي لتضيق في سجنها الرحب ،
إنني في حاجة إلى مقر لا أقق له

* * *

كقطرة ماء صُبّت في المحيط ،
يستغرق الخلدُ في كنفه تفكيري ،
هنالك ملكة الفضاء والخلود
وهي تجرؤ على استكناه الزمن والعالم اللانهائي
تقترب من العدم ، وتطوف في الوجود
وتعرف من الله الجوهر الناعض .
بيد أنني حينما أريد تصوير ما أشعر به
تتلاشى جميع العبارات كمجهودات فاشلة ،
تعتقد روحي أنها تتحدث ولساني متلعثم ،
يصفع الهواء عشرين صفعة خيال تفكيري .
لقد خلق الله للأرواح لغتين مختلفتين :
في نبرتين تاريخيتين تتبخر إحداهما في الهواء ،
وهذه اللغة المحدودة معروفة للناس
وهي تفي باحتياجات المنفى الذي نحن فيه
وتكيف طبقاً للضربات القاتلة من تقلبات القدر ،
فتتبدل مع الأجواء أو تذهب مع الزمن .
أما اللغة الخالدة الأخرى النبيلة الجامعة اللانهائية ؟
فهي اللغة الموهوبة بجماع الذكاء :
ولم تكن قط نبرة مائتة تذهب هباء مع الهواء

فليست هذه مقدرتهم التي عرفناها في ميادين الهو واللذة والمتعة الفاجرة . . . وليست هذه وجاهتهم التي عرفناها في قصورهم وحيث يحلّون !

وأنت أيتها الإسكندرية : إنهم لم يحبوك في يوم من الأيام . . . ولكنهم أحبوا لذتهم ولهوهم ، وأحبوا عندك الظهور والكبرياء !

إنهم لم يعطوك حين كانوا يعطونك كل سيف مما وهبتهم الأيام ، لرغبتهم في أن ينالك شيء من خيرهم ، ولكنهم لو استطاعوا لأخذوا كل ما لديك لأنفسهم . واذهبي أنت مع الريح !

أيتها الإسكندرية ، إغضبي من اليوم عليهم . إغضبي غضبة لا تعرف المهادنة ولا تعرف اللين ، فليسوا جديرين بعطف منك ولا وفاء ! ولتغضب مصر جميعاً لغضبة الاسكندرية ، لتغضب . . . فإنا نحب الخير ونحترم مثله ، ولسنا عبيد الألقاب ، ولسنا قطيعاً في سرعة الوجهاء .

إن للفقراء حقاً مشروعاً في رقاب الأغنياء . طلبوه اليوم منهم فأنكره هؤلاء . . . فليذهب كل ما كان لهم في نفوسنا من حب ، وليذهب كل ما كان لهم فيها من تقدير . . .

ولتبق نكبة الاسكندرية ماثلة في أذهاننا دائماً ، لتذكرنا بأن للانسان حقوقاً طبيعية في المجموع الذي يعيش فيه .

تتمثل هذه الحقوق — أول ما تتمثل — في أننا يجب أن نسعى إلى حياة معتدلة ، فيها رخاء لنا جميعاً ، وتحصين لنا جميعاً . فلا تعيش طائفة جاحدة منا عيشة فاحشة الثراء . . . وتحيا أخرى حياة الأغنام !

أيها العاجزون المحتاجون المنكوبون ، لا تفكروا طويلاً في عطف القادرين . . . أيها الفقراء ، لا تثقوا كثيراً في قلوب الأغنياء . . . فلا يعرف الألم إلا من قاساه في يوم من الأيام . . .

(حلوان) عمار الدين عبد الحميد

إنها تعبير حي يُسمعُ في القلب :
فهي تُسمعُ وتُشرحُ ويُتحدثُ بها مع النفس ،
وهذه اللغة الشعورية تخلب وتضيء وتلهب
وليس للنفس لكي تُعبِّر عن خطراتها اللانهية
سوى تنفس الصعداء والحماس والوثوب .
هذه هي لغة السماء التي تنطق بها الصلاة ،
ولغة المحبة المفعمة بالحنان في الحياة الدنيا

* * *

في المناطق الطاهرة حيث أحب أن أطير ،
يبعثني الحماس أيضاً على كشف أسرارها .
هو وحده سراجي في هذه الليلة الظلماء ،
وهو الذي يفسر لي العالم أحسن مما يفسره العقل .
تعال إذن ! إنه دليلي ، وأريد أن أخدمك .
على أجنحتها النارية تعال واختطف !
ها هو ظل العالم قد انمحى عن أعيننا .
إننا نهجر الزمن ونجول في الفضاء :
وفي نظام الحقيقة الأبدي ، ها نحن أولاء وجهاً لوجه أمام الحقيقة !
وهذا الكوكب الفرد ، الذي لا زوال له ولا فجر ،
إنه الله ، هو رب كل شيء ، الذي يقدس نفسه !
كل شيء من فضله : الكون والزمن ،
ومن وجوده الخالد ، جميع العناصر الصافية .
اللانهاية مداه ، والأبدية عمره ،
النهار نظرته ، والعالم ظله .
جميع الوجود يبقى تحت ظل يده
فالكائنات الطافية على أمواج الأبدية التي تجري من فيضه ،
كنهر يتغذى من هذا المنبع الذي لا ينضب له معين ،
يخفق فيه ويؤول إلى الفناء ، بينما كل شيء يبتدىء .
إن صنعه الكامل الذي لا حد له مثله ،
يمجد حين يوجد ، اليد التي صنعته :
يحشد الخلق في الخلد بين زفرة وأخرى ،
فهو إذا شاء قال : كن فيكون .
كل شيء منه وإليه
إرادته المقدسة هي شريعته الإلهية
ولكن هذه الإرادة التي لا ظلَّ لها ولا خوَر ،
هي في وقت واحد : القدرة والإرادة والعدل والحكمة .
كل ما عساه أن يكون يجري وفق إرادته
وكذلك العدم ينهض بمقدار :
الذكاء والحب والقوة والجمال والشباب ،
هو قادر على منحها بلا انقطاع دون أن ينضب له معين .
وهو يغمر العدم بنعمه الفيحة .
وأقرب علامات وجوده أنه يستطيع أن يخلق آلهة !
ولكن هؤلاء الآلهة من صنع يده ، والأبناء من قدرته ،
من شأنهم أن يبرهنوا على وجوده الخالد ،
وهم يميلون بطبعهم إلى الإقرار بوجود خالقهم .
إليه مرجعهم جميعاً وهو وحده الكافي !

* * *

هذا هو الله الذي تعبده جميع النفوس ،
والذي دان له (ابراهيم) ، واهتدت إليه بصيرة (فيثاغورس)[1]
وأشاد بذكره (سقراط) ، ولمس وجوده (أفلاطون) ،
هذا الإله الذي أظهر الكون للعقل حقيقة ،
والذي تنتظره المدائن ، ويرجو لطفه الشقاء ،
والذي دعا إليه عيسى فوق الأرض !
ولم يعد من أثر الإله الذي تصنعه يد الإنسان ،
ذلك الإله الذي عبر عنه النفاق الخاطئ ،
ذلك الإله الذي شوهت حقيقته يد الكهنة الزائفين ،
والذي كان يعبده أسلافنا السذج وهم يرتعدون

* * *

إنه وحيد . إنه واحد ، إنه عادل ، إنه حميد
ترى الأرض صنعه ، وتعرف السماء اسمه !
سعيد من يعرفه ، وأسعد منه من يعبده !
هو الذي ، بينما الناس في جحود أو إنكار ،
يظل وحده في مصاف مصابيح الليل القائمة ،
ينهض في الخراب حيث يجتذبه الإيمان ؛

(١) لم يعترف فيلسوف ما من الملحدين اعترافاً تاما بوحدانية الله ، بيد أن الفلسفة الروحانية على الاطلاق تبرهن منطقياً على تلك الوحدانية
أما التدرج الذي حاول « لامرتين » أن ينظمه هنا بين « فيثاغورس » و « سقراط » و « أفلاطون » ، فهو مجازي في صميمه

ويلهج بالمحبة والشكران ،
ويحرق روحه كالبخور فى حضرته !
ولكن لكى تصعد إليه أنفسنا المحطمة
يجب أن تتسع أعلى قوتها وفضيلتها .
ينبغى أن نطير إلى السماء على أجنحة من اللهب ،
فالرغبة والحب هما جناح الروح

* * *

آه لِمَ لَمْ أولد فى مستهل الخليقة البشرية ؟
حين لم تكد تنتشر من بين يديه ،
قريباً من الله قرباً زمنياً ، وأكثر قرباً بالطهر ،
حيث تناجيه الخلائق ، وتسير فى حضرته !
لِمَ لَمْ أر العالمَ منذ بزوغ شمسه الأولى !
لقد كان كل شىء يحدثه عنك ، وكنت أنت نفسك تناجيه ،
وقد كان الوجود يلهج بجلالك المقدس ،
وكانت الطبيعة الخارجة من أيدى الخالق ،
تنشر بكل المعانى اسم منشئها :
هذا الإسم الذى حجب منذ أجيال سحيقة ،
فإذا به يتلألأ فى روعة أكثر بريقاً فوق مبتدعاتك :
ولم يَتَطَلَّعْ الإنسان فيما مضى إلا إليك ،
فكان يدعو ربه ، وكنت تقول : « أنا هو »

* * *

لقد تفضلت فتعهدت بعناياتك تعليمه زمناً طويلاً كما يتعهد الطفل ،
وبعد زمن طويل اقتضت مشيئتك أن تهديه سواء السبيل
وقد تجلّت له عظمتك مرة ،
فى أودية سِـنّار ،
فى حرج عُرَيْب بصحراء سينا ،
أو على قمة الجبل المقدس
حيث أملى موسى على العبريين شريعته الجليلة !
وهؤلاء أبناء يعقوب أول مواليد البشر ،
ظلوا يتلقون المن من يديك أربعين عاماً ،
وكنت توقظ نفوسهم بآياتك الحية ،
وكنت توحى أمام أعينهم بلغة المعجزات ،
وعند ما نسوك ، تنزلت ملائكتك
وأعادت إلى قلوبهم الحائرة ذكراك .
ولكن أخيراً ، كنهر بعُد عن منبعه ،
ذهبت هذه الذكرى الصافية فى سبيلها ،
ومن هذا الكوكب القديم أخبا ليل الزمان المظلم
للناطقَ المضيئة تدريجياً .
لقد أمسكتَ عن المناجاة ، فالنسيان ويد الأجيال
غفلا عن هذا الاسم العظيم الذى تتسم به بدائعك ،
ولقد أضعف مرور الأجيال الإيمان ،
ووضع الإنسان الشك بين العالم وبينك .
نعم ، هذا العالم يا مولاى قد أصابه الهرم بالنسبة لعظمتك ،
لقد نسىَ اسمك وأثرك وذكراك
ولكى تستعيدها يجب علينا أن نتخطى من جديد نهر الأيام موجة فموجة .
أيتها الطبيعة ، أيها الفلك ! عبثاً تراكما العين .
وا أسفا ! بدون أن يرى الإنسان الله يمجد المبدع ،
إنه يرى وعبثاً يتتبع آلاف الشموس ،
التى تجرى فى مجارى السموات جرياناً عجيباً ،
إنه لم يعد يعترف باليد التى تحركها .
معجزة أبدية لم تعد معجزة .
إنها تسطع فى الغد كما كانت تسطع بالأمس !
من يدرى أين تبتدئ طريقها الجليل ؟
من يدرى إذا كان هذا السراج (الإيمان) الذى يتلألأ ويشعر
قام للمرة الأولى فى العالم ؟
إن آباءنا لم يشهدوا قط سطوع دورته الاولى ،
والأيام الخالية لا يعرف لها أول قط .
عبثاً توحى عنايتك الإلهية
تجليك فى هذه التطورات العظيمة على العالم المنوى ،
إن من تدابيرك أن ينتقل صولجان الملك عبثاً
بين البشر من يد إلى أخرى ،
إن أعيننا التى ألفت تقلبها ،
قد جعلت من العظمة عادة فاترة ،
وكم شهدت الأجيال

للعلم والتاريخ

٢ ـ عبد القادر حمزة باشا

وما ذكره عنه الذاكرون في عفة النأبين

[« قومية » ، بحثه وراء « الحقيقة » في التاريخ المصري القديم ..]

للأستاذ محمد السوادى

إحتفل أهل الرأى وذوو المكانة وأبناء الفكر فى عاصمة مصر بتأبين الفقيد من أيام ، فرددت جنبات القاعة الثقافية التذكارية فى الجامعة الأمريكية مواهب الراحل ومناقبه ، جرت نثراً على ألسنة هيكل ومنصور فهمى وأباظة وآخرين ، وجرت شعراً على ألسنة العقاد ومطران ومحرم وآخرين

ومن الرابع عشر من هذا الشهر تحتفل أسرة الفقيد بإحياء ليلة الأربعين ، فيذكر الذاكرون أن أربعين يوماً مرت على آخر عهد لمصر بابنها « الممتاز » الذى وقف عليها ما أوتى من جهود ، وسخر فى سبيلها ما أتاه الله من فضل وفن وميزات رقت به إلى مستوى فريد ومقام ملحوظ

وأحب بدورى أن أختار هاتين المناسبتين — التأبين والأربعين — لأثير ناحية من أدب الفقيد تمشى وما ذكره الذاكرون من الشعراء والناثرين ، فقد ذكروا الخدمات التى أداها عبد القادر حمزة لمصر التى أحبها فعاش لها ، مصر الحديثة فى جهاده السياسى والصحفى والأدبى ، ومصر القديمة التى بعثها بعثاً رائعاً فى كتابه « على هامش التاريخ المصرى القديم » . هذه الناحية التى أحب اليوم أن أغزوها أو أجلوها هى « قومية البحث عند عبد القادر حمزة وراء الحقيقة فى التاريخ المصرى القديم »

* * *

وأحب أيضاً أن أسجل أسفى على فقر مصر الحديثة من ناحية المؤسسات العلمية التى تفزع إليها الأمم الناهضة لتقدر القيم العلمية لجهود الأفراد قدرها الحق ؛ ولو أن مصر كانت مثرية فى هذه الناحية لرأت الأمريكيين والأوربيين ، لعبت هذه المؤسسات إثر وفاة العظيم تتناول مخلفاته بالبحث ولرأينا الجمعيات التاريخية تتوفر على الجانب التاريخى منها فتجلوه . المحاضرون من أعضاء المؤسسة بمحاضراتهم ، والباحثون بالكتب التى يصدرونها بسطاً لهذه الجهود وتأييداً أو تفنيداً ، أما وقصارى جهدنا أن يجتمع بعض الناهضين — واجتماعهم مشكور لهم ومحمود — لتأبين العظيم الراحل ، فقصور من ناحية النهضة

كثيراً من تقليات القدر الكبرى !
لقد قَدُمَ الدورُ ، والإنسان الجامد فى غفلة

* * *

أيقظنا أيها الإلـه العظيم ، أوْحِ وبدّل العالم ،
أسمع الصَّمَ كلمتك المثمرة
لقد آن الأوان ، فانهض وتجاوز هذا الهدوء الطويل
اخلق خلقاً آخر من هذا الفضاء الآخر .
إن أعيننا الغافلة لتفتقر إلى مشاهد أخرى
وإنّ نفوسنا الشاردة لتحتاج إلى معجزات أخرى
بدل نظام السموات التى لم تعد تحدثنا !
واقذف بشمس أخرى لأعيننا الحائرة
حطم هذا القصر القديم غير الجدير بعظمتك ،
أقبل ، وتجل أنت ـ أنت سبحانك ـ واحملنا على أن نؤمن
ولكن ربما قبل الأوان حيث فى مجارى السموات
ستكف الشمس عن إنارة الوجود
ومن هذه الشمس المسنوية (الايمان) قد انكسف الضوء .
وسيكف رويداً رويداً عن إنارة التفكير ،
واليوم الذى سيندو فيه هذا المصباح محطما
سيُغمس العالم فى ليل أبدى !
إذن أنت ستحطم ما خلقت .
وهذا الحطام المنهار سيردد عنك جيلاً بعد جيل :
(إننى الوحيد ! وكل ما عداتى لا يستطيع الدوام !
فالإنسان الذى ينقطع عن الايمان ، ينقطع عن البقاء !)

(الأسكندرية) محمد أسعد رودية

العلمية خاصة والفكرية عامة يثير الأسف، ويبيح للناقد أن يلقى المسؤلية على الدولة ورجال الفكر أنفسهم

وهذه الناحية التي وقع عليها اختياري لتكون موضوع مقالي، هي الناحية التي كنت أود لو كانت من نصيب أساتذة النقد والتاريخ في إحدى المؤسسات العلمية، لأنها ناحية لها من الجلال والقيم ما ينوء به كاهلي وتنوء به جهودي

ولكني سأحاول:

و« القومية » في البحث، تنقص من ناحية وكمال من ناحية: تنقص من ناحية « الحقيقة » العلمية والتاريخية، لأنها - أي القومية - لون من ألوان التعصب يجافي أهداف الباحث وراء « الحقيقة » في ذاتها ولذاتها، وكمال من ناحية « الوطنية » التي تطالبنا بتغليب الصالح الوطني في النهاية، والشعور العاطفي في التحايل على إدراك هذه الغاية

وإذن « القومية » ليست لها قيمة ثابتة، وإنما تختلف قيمتها باختلاف وجهة النظر إليها

و« الحقيقة » نفسها لها ميزاتها ولها مساوئها، أما الميزات فتنحصر في القداسة التي تحوط الباحث، وفي الجمال الذي يحيط اللثام عنه يوم يدرك هذه « الحقيقة »، وفي الجلال الذي يشعر به يوم يرى نفسه وقد تجرد من كل تأثر شخصي أو عائلي أو قومي فأخذ مكانه فوق المستوى المادي وتطلعت الإنسانية المشوقة إلى الحقائق إلى حيث يقيم هذا الباحث داخل برجه العاجي. وأما مساوىء هذه الحقيقة فتنحصر في مرارتها وأثر هذه المرارة في الجماعة التي ينتمي إليها الباحث، وضرر هذه المرارة بالوطن أو بالأفراد أو بالباحث نفسه. وحسبك أن تتصور نفسك الآن وقد جاءت أمتك حكومة وشعباً بالحقائق العارية فنشرت كتاباً ضمنته نقائصهم أفراداً وجماعة كما تعرفها أنت وكما أعرفها أنا، ثم تتصور نفسك وقد استلك الجند إلى المحقق وزج بك المحقق في السجن، واستنكر تصرفك الرأي العام، واتهمك بالمروق من دين الوطنية كل وطني

من هذا ترى أن « القومية » تنقص من بعض النواحي، و « الحقيقة » نفسها مريرة ولا أقول « تنقص » من بعض النواحي، فإذا وجد الرجل الذي يجد في البحث وراء « الحقيقة » خالصة ليريح جلالها وليبرز جمالها وليساهم بهذا الجهد في الترقي الإنساني، ثم استطاع هذا الرجل أن يخرج بنتيجة « تطبيقية سليمة » من الناحية العلمية ومؤدية إلى خدمة بلاده، ثم تبين أن « القومية » هي التي دفعت به من البداية إلى هذا البحث الذي التزم فيه جادة الحق وصادق النهج، فمن حقه على بلاده أولاً وعلى الإنسانية ثانياً أن يأخذ مكانه بين الخالدين

وأنا مؤمن بأن عبد القادر حمزة كان « هذا الرجل » . . . في كتابه الأخير

ويحضرني الآن لإيضاح الفكرة مثل أضربه لها من « القومية » في « الفلسفة الوطنية الاشتراكية » في « ألمانيا النازية » فقد وضع « روزنبرج » وغيره من فلاسفة العنصرية الآرية مجلدات ضخمة سخروا فيها العلم لإثبات أن الجنس الآري سيد هذه الدنيا، وأعداد « الرسالة » الفائتة تتضمن بحوثاً طلية في فلسفة هذه « الوطنية الاشتراكية » وكلها توهم بأن أصحابها إنما يبحثون وراء « الحقيقة » فهل يمكن القول بأن هذه البحوث من النوع الذي نعنيه بـ « قومية البحث وراء الحقيقة » ؟

كلا . . . إنما حشد هؤلاء الفلاسفة « معلوماتهم » وجندوا « مواهبهم » لإخفاء وجه « الحقيقة » لا لاجتلائه، ولتسخير هذه « المواهب والمعلومات » في إلباس الباطل ثوب الحق، وفي استخدام الحد الثاني من سلاح المنطق، وفي ارتداء أزياء الفلاسفة وهم في حقيقتهم دعاة سياسيون، ولتضليل « الفكر » بإقناع « المفكرين » بصواب ما تذهب إليه « العنصرية الآرية »

هؤلاء هم أعداء « الحقيقة » وأعداء المعنى الذي نعنيه ونحن نقصد إلى أصدقاء « الحقيقة » ونرمي إلى التدليل على أن « عبد القادر حمزه » المصري أحد هؤلاء الأصدقاء

* * *

نريد أن ندلل الآن على ثلاثة أمور:

أولها: أن عبد القادر حمزه إنما اتجه إلى دراسة « التاريخ المصري القديم » بحثاً وراء « الحقيقة » في ذاتها ولذاتها كما اتجه « أبناء هذه الحقيقة » في مختلف العصور

ثانيها : أن هذه الدراسة ملأى بـ كسرى ـ زهوا بعصريته فكان هذا الشعور منه إيغالاً بالقومية التي حالفته في بحثه

ثالثها : أن عبد القادر حمزة « مؤلف كتاب على هامش التاريخ المصري القديم » قرن بين الحقيقة والقومية فجمع بينهما جمعاً طللاً ولم يغلب القومية على الحقيقة وإنما وجد في إبراز هذه الحقيقة إثباتاً لهذه القومية ففعل

هذه هي الأمور الثلاثة التي أريد أن أدلل على صحتها لأخرج منها بنتيجة تعزز موضوع هذا البحث

* * *

ولأعد بالقارئ إلى الكلمة التي تقدم بها الفقيد للجزء الأول من كتابه لنستمع إليه وهو يقص علينا بداية شغفه بدراسة التاريخ المصري القديم فنرى أنه زار الأقصر في سنة ١٩٢٤ ليشاهد قبر الملك « توت عنخ أمون » فزار قبور وادي الملوك والملكات والدير البحري ومعبد الكرنك ووقع في يده كتاب « طيبه Thèbes » للأستاذ كابار Capart مدير معهد الآثار المصرية في بروكسل فقرأه فخيل إليه أن الآثار التي مر بها مرور الطير أخذت تتجسم وأن الحياة أخذت تدب فيها فحفزه هذا إلى زيارة الأقصر مرة أخرى زيارة مشوق إلى الحقيقة وأصبح « يهمه أن يدرس ما فيها من الآثار وعدت من هذه الزيارة وقد ازددت شغفاً بمصر القديمة فأحسست رغبة قوية في زيارة المتحف المصري ، مع أنني كنت قد زرته من قبل مرتين فجعلت أزوره من جديد زيارات كان لها في نفسي معنى جديد »

هكذا كانت البداية ، بداية رجل شغفته آثار مصر القديمة حباً فرغب في دراستها ، والبحث عن وجه « الحقيقة » فيها

فمتى إذن انتقل به البحث إلى « القومية » ، أو متى تسلطت على دراساته « قومية البحث » ؟

يجيبك هو على هذا السؤال فيقول :

« وتكررت زياراتي للآثار وانكببت على المؤلفات التي وضعها علماء المصرولوجيا ، فكنت كلما أوغلت فيها شعرت كأن مصر تكبر في عيني وكأني أمتلئ بذلك زهواً »

من هنا بدأت بذور القومية تنمو في نفس الرجل ، ولكن هذا النمو في « البذور » يحتاج إلى كثير من « الماء » و « السماد » ليستقيم العود ويسمق فارعاً في الفضاء ... فما كان ماؤه وما كان سماده ؟ كان لا بد للرجل من « الغضب » ليكون « تعصب » وتتكون « حماسة » وليكون « إصرار » على إبراز فضائل مصر ... وقد « غضب » الرجل الذي لا يغضب غضباً ظاهراً ، واستبنا منه هذا الغضب من خلال قوله :

« وأخذتني الدهشة من أننا ونحن أبناء مصر هذه لا نعرف عنها هذا الذي يعرفه الأجانب ، ولا نعجب بها هذا الإعجاب الذي يبذله لها الأجانب ، ولا نغرم بمجدها ونقصي خفاياه هذا الإغرام الذي يقبل عليه ويرتاح له الأجانب »

من العبارات السابقة وضحت القومية ؛ ولكن العبارة الأخيرة توضح حالة الاقتران بين « القومية » و « الحقيقة » أو مطالع هذا الاقتران ، لأنه لم يقل أنه عجب — أو غضب — فحسب ، ولكنه اعتزم البحث وراء هذا المجد و « تقصي خفاياه » والتقصي — علمياً — هو لباب البحث وراء « الحقيقة »

وبدأ الرجل يقرأ مختلف المؤلفات مرات ومرات ، فكان يفهم في المرة الثانية ما يبهم عليه في الأولى ، وينفذ في الثالثة إلى ما يغيب عنه في الثانية . وانقضت سنوات حتى اختمرت الدراسات في ذهن هذا « الباحث المنطقي المرتب » ، وبدأت « النتائج » تطل من « المقدمات » على الصور التي انحاز بها ذهنه في استخلاص الحقائق ... هذه الصور التي رددتها إلى عناصرها في بحث لي نشرته مجلة « الثقافة » الغراء

وبدأ الرجل تجربته الأولى بنشر فصول في « البلاغ » في سنة ١٩٣٤ ، وتجربته الثانية بنشر فصول أخرى في سنة ١٩٣٨ وأخيراً رأى أن يخرج كتابه الأخير

وهو لم يقل أنه أدى لتاريخ مصر القديم كل حقه ، بل اعترف بأن هذا التاريخ بحر خضم ولم يسمه هذا الوصف إنشاء أو إسرافاً في الإنشاء كما ألفنا نحن الكتاب ، بل عقب على الوصف بما يثبته فقال : « لأنه تاريخ أربعة آلاف سنة أو أكثر فليس يوفى حقه في كتاب ولا في كتب ، وقد كتب فيه العلماء الأجانب بعد كشف اللغة المصرية في سنة ١٨٢٢ م مئات من

الكتب ، وهم إلى اليوم كلما كتب واحد منهم وجد جديداً ، وكلما ضربت فأسه فى أديم مصر خرجت بجديد ، فلا مناص من أن أكتفى فى كتابى هنا بأطراف ، وإذا أراد الله فسأتبع هذه الأطراف بأطراف وأطراف » . ولكن الله لم يرد ، فلا حول ولا قوة إلا بالله

وأدع الآن مهمة « التطبيق » إلى المقال الآتى إن شاء الله وأختم مقال اليوم بكلمة تثبت لك دافع الفقيد إلى الأخذ بالقومية فى البحث بعد أن دفعته الآثار إلى البحث عن الحقيقة فيها

لاحظ الفقيد حقائق مريرة حفزته إلى البحث وراء الحقيقة أولاً وحملته على أن يقرن بينها وبين القومية أخيراً ... ومن هذه الحقائق ما يأتى :

أولاً : لاحظ أن جميع المصريين يجهلون تاريخهم مع الأسف

ثانياً : أنهم لم يقرأوا منه وقت تحصيلهم العلم غير أشياء ضئيلة مبهمة

ثالثاً : أنهم لا يجدون بعد وقت التحصيل مؤلفات عربية فى هذا التاريخ تجذبهم إليه

رابعاً : إنهم يعرفون عن اليابان فى آسيا وكندا فى أمريكا وعن انجلترا أو عن فرنسا فى ماضيها وحاضرها أكثر مما يعرفونه عن مصر « وبهذا تنقطع الصلة بين مصر القديمة ومصر الحديثة ويمتنع علينا أن نأخذ من أمسنا ليومنا وغدنا. والإنسان الذى يعيش مقطوع الصلة بأمسه كالنبات الغريب ينمو ثم يموت ، وكأنه لم يوجد »

خامساً : إن الناشىء فى انجلترا أو فى فرنسا أو فى ألمانيا « ينشأ وتاريخ بلاده يسايره فى كل سنة من سنى تعليمه فلا يكاد يغادر مقاعد الدرس حتى تكون نفسه قد انطبعت بطابع ما فى هذا التاريخ من عظمة وجلال . ومن هذا الانطباع يتولد حب خاص للوطن وتتولد رغبة فى محاكاة أبطاله وينمو تبعاً لذلك الشعور بالقومية ... الخ »

سادساً : إن الكتاب اليونانيين والرومانيين الذين زاروا مصر وكتبوا عنها فى ما بين القرن الرابع قبل الميلاد والقرن الثانى بعد الميلاد شحنوا كتاباتهم بأشياء لم يفهموها فألبسوها لباس الغرابة والخرافة . مثلهم فى ذلك مثل الذين يزورون مصر الآن من الأجانب فيدعون عليها دعاوى لا وجود لها ، وإن هذه الكتابات التى كتبها أمثال هيكاتى دى ميل وهيرودوت وسترابون وديودور الصقلى وكليان الاسكندرى وبلوتارك ، كانت المرجع الوحيد لمعرفة مصر القديمة منذ شاع سر اللغة المصرية إلى أن كشفه شامپوليون الشاب

* * *

وضع الفقيد أمامه هذه الملحوظات الست وخرج منها بأن « الحقيقة » ضائعة فيجب إيجادها ، و « القومية » ضميمة فيجب إنماؤها ، أما « الحقيقة » فهى أن مدنية مصر لم تقم كما اعتقد المؤرخون الأجانب « على أساس من الخرافات والعقائد الفاسدة » بل قامت كما دلل هو « على أساس علمى وخلق صحيح » .

وإلى اللقاء حيث ندرس معاً « بالتطبيق » الطريق التى سلكها فى البحث والنتائج التى خرج بها و « الفلسفة » العلمية التى حالفته فى أثناء هذا البحث .

محمد السوادى

مؤلفات الأستاذ عبد المتعال الصعيدى

١ البلاغة العالية فى علم المعانى

إسلوب جديد فى تدريسه لهذا العلم

٢ زعامة الشعر الجاهلى بين امرئ القيس وعدى بن زيد

موازنة جديدة بينهما

٣ الميراث فى الشريعة الإسلامية والشرائع السماوية والوضعية

بحث شرعى مفصل لهذه المواريث وموازنات دقيقة بينها

تطلب هذه الكتب من إدارة مجلة الرسالة بأثمانها مع إضافة أجرة البريد لها ومن عموم المكاتب

على شاطئ الحياة

شاعر غريب ...

للأستاذ طاهر محمد أبو فاشا

رَائِدُ الليل خلفَ وَهْم بَعيدِ ... وخيالٍ من الأمانى عنيدِ
وغريبٌ يرى الصباحَ غريباً ... فى حياةٍ كليلـــةِ المعقودِ
وَلَوَى القيدُ فى يديه وصاحتْ ... فى شَرَايينِهِ دِماه الشهيدِ
قلمٌ كان بسمةً فى فمِ الدُّنـ ... ـيا فماتت على فمِ الغريدِ
أقفرتْ روحُه ، وغاضتْ معانيـ ... ـهِ وأمسى على الثرى فضلَ عُودِ
وبقايا حشاشةٍ تتلوّى ... تحتَ حَرِّ الجوى وَبَرْدِ الوعودِ
جَفَّ حتى أنكرتْهُ وهو منِّى ... شَبَحُ الأمِّ من خيالِ الوليدِ
جَفَّ حتى أنكرتْهُ وهو منى ... صورةُ القُرب من فؤاد العميدِ
آهِ من آهةٍ بقلب شريدٍ ... ضلَّ فى ذلك المَتاهِ الشريدِ

نحن فى عالمٍ حُماداه أنَّا ... قد نسينا به معانى الوجودِ
أتكون القبور أضيق أم تلـ ... ـكَ الفيافى لساهدٍ يَرْقُودِ ؟
وارتقابُ الجحيم أم ذلك الرُّعْـ ... ـبُ بحرٍّ مُسَمَّمٍ محدودِ ؟!
وعواء الضِّباع بالليل أم جَرْ ... سُ الأفاعى مُصَلْصِلاً من بعيدِ
وجماهير من عقاربَ رُعْنٍ ... شائلاتٍ أذنابها كالبُنُودِ ؟!
تَلسبُ الحيَّ والجمادَ كما اسْتَا ... مَ أعمى عصاه فوق الصَّعيدِ

كل يومٍ لنا فنونُ دفاعٍ ... فى نزاعٍ على البقاء الكسيدِ
نتبارى مع الطبيعة والأو ... هامِ والخوفِ والدجى والبيدِ
ظلماتٌ يَجْثُمْنَ خلفَ دَيَاجٍ ... ورعودٌ يَجْأَرْنَ إثْرَ رُعُودِ
أين حربُ الأعصاب من هذه الحر ... بِ تلظَّتْ فى ليلها الموعودِ
أعواء المدافع الشُّكْسِ أم زَأْ ... رُ غُضوبٍ على الرُّبى شُحَّدُودِ ؟
يوقظُ الليلَ كله ويكاد الـ ... ـفَجْرُ يَنْشَقُّ خيفةً فى النُّجُودِ
وَسِمَامُ الغازات أم ذلك الصَّـ ... ـرُّ يقرْنَيْهِ لابداً فى الطَّريدِ
آهِ من آهةٍ بقلب شريدٍ ... ضلَّ فى ذلك المَتاهِ الشريدِ

من أباح الشذا وكان حراماً ... وحشةَ الرَّوض أم بكاء الورودِ
والذى أسْلَمَ العنادلَ للذلّ ... هواها ... أم كبرياء النشيدِ
لهف نفسى على ورود القوافى ... يذبل الوردُ فى القِفار ويودى
خطراتٌ يَلمعْنَ فى ذلك القَفْـ ... ـرِ كماء فى الصَّخرةِ الصَّيْخُودِ

حرَّ قلبى عليك يا مصر يا مَهْـ ... ـبِطَ وَحْيِى ويا مَرادَ قصيدى
يا ليالىَّ (بالحُسَين) أعيدى ... بسمةَ الدهر واخطرى من جديد
قد بكى الناىُ فى يد العازف النَّا ... ئى ، وأنَّتْ أوتاره من بعيد
نحن فى شاطئ الحياة حيارى ... قد أقمنا على ضِفافِ الوجودِ !

عنيبة « الدر »

طاهر محمد أبو فاشا

حينما تغمضين عينيك

للأستاذ العوضى الوكيل

حينما تغمضين عينيك هاتيـ ... ـنِ على فتنةٍ وروعةِ سحرِ
ما الذى تشهدين فى صفحة الآ ... فاقِ مما أدرى ومالستُ أدرى ؟
هل تشيمين فى الخيال فرادي ... سَ نشيدٍ معطَّرٍ بكِ نَضْرِ
هل تشيمين مهجتى تتلقّا ... كِ وتهفو إلى سناكِ وتَسْرى
أنا وحدى الذى يراكِ من الغيـ ... ـبِ بفِكْرٍ يدقّ عن كل فِكر
فاشهدينى هناك أنتهل الحـ ... ـبَ وآوي مع المساء لوكْرى

حينما تغمضين عينيك هاتيـ ... ـنِ على فتنة وروعة سحر
تستجيبُ الشفاهُ جفنيك لمّاً ... فكأنى لمستُ روحاً بثغري
وأرى الحسنَ كيف يأسر نفسى ... ثم يُلقِى الفنَّ الجميلَ بشِعْرى
يا فتاةَ الأحلام لو لم أعاصِرْ ... كِ لأحسست باليباب بعصْرى
ولآنستُ فى خيالى وجوداً ... لك يا بهجة الخيال لعمرى !
ولأغمضت مقلتىَّ وشاهد ... تُ بعينىَّ ما يجنُّ ويُغْرى

العوضى الوكيل

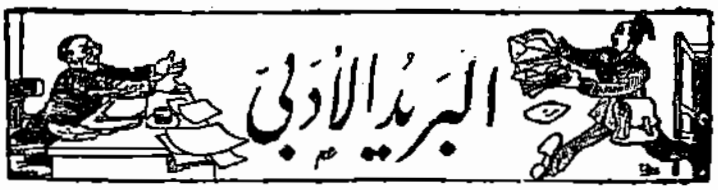

جواب

يا سيدى الفاضل ، قلتُ يقال للشيخ عجوز وللشيخة عجوز وعجوزة

يا سيدى قال الإمام ابن الأنبارى : يقال عجوزة بالهاء لتحقيق التأنيث ، وروى عن يونس أنه قال سمعتُ قول العرب عجوزة بالهاء .

(رضيد)

تعليم القراءة والكتابة

كان معالى وزير المعارف قد أصدر قراراً بتأليف لجنة لبحث كتب التهجى والمطالعة التى بأيدى المبتدئين فى المعاهد المختلفة لمعرفة مدى فائدتها فى تعليمهم مبادئ القراءة والكتابة ، ونقدها من جميع نواحيها ، ووضع طريقة لتعليم التهجى والمطالعة تكون سهلة جذابة خالية من العيوب التى قد تنطوى عليها الطرق المتبعة الآن ، ووضع كتب للتهجى والمطالعة العربية تفى بالغرض المقصود

وقد انتهت هذه اللجنة من وضع تقريرها ، ورفعته إلى معالى وزير المعارف . وكان مما جاء فى هذا التقرير أن كتب التهجى والمطالعة المستعملة الآن فيها بعض العيوب التى قد تعوق الطفل عن التقدم فى القراءة والكتابة ، وتحول بينه وبين الوصول إلى النتيجة المرغوبة فى زمن وجيز

وقد اقترحت اللجنة اعتماد الأسس الآتية :

أولاً : تربية الحواس عند التلميذ وتقوية ملاحظته اللغوية ، وذلك بالبدء بدروس المحادثة الشفوية على أن تدور حول ما يقع تحت حسه ، مع ملاحظة أن يكون المنطق سليما قدر المستطاع

ثانياً : متى مرن الأطفال على نطق الكلمات وأصوات الحروف انتقل المعلم بهم إلى تعليم التهجى والكتابة والمطالعة بوساطة الطريقة الصوتية فيبدأ بأصوات الحروف التى تقسم إلى طوائف ومجموعات متشابهة ، ولا تعطى دفعة واحدة ، ويبدأ بالحروف التى لا تتصل بما بعدها ، أو بالحروف المتجانسة فى كتابتها

ثالثاً : بعد تعليم الأطفال مجموعة من هذه الحروف تؤلف لهم منها كلمات سهلة واضحة ، ثم جمل قصيرة

واقترحت اللجنة أيضاً تجريب الطريقة «الكلية» التى أجمع على استحسانها علماء النفس فى الوقت الحاضر وأساسها أن العقل يدرك الأشياء على هيئة وحدات كلية ذات معنى ، وأما إدراك تفاصيل هذه الوحدات فإنه يأتى متأخراً . وأوصت اللجنة بأن يكون تجريب هذه الطريقة مبدئياً فى روضة واحدة من رياض الأطفال

التأريخ عند العرب

طلب الدكتور زكى مبارك أن يحقق أحد كتاب (الرسالة) تأريخ العرب قبل هلاك أصحاب الفيل ، وقال : هل يمكن الوصول إلى معرفة ما كانوا عليه (أى العرب) فى التأريخ قبل أن ترجّ أذهانهم واقعة الفيل ؟

وقد بسط القول فى هذا البحث العلامة المؤرخ شمس الدين السخاوى فى كتابه (الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ) المطبوع بدمشق الشام سنة ١٣٤٩ فنجتزئ بما يأتى منه :

أما التأريخ الجاهلى فقد روى ابن الجوزى من طريق عامر الشعبى قال لما كثر بنو آدم فى الأرض وانتشروا أرخوا من هبوط آدم فكان التاريخ إلى الطوفان ، ثم إلى نار الخليل ، ثم إلى زمان يوسف ، ثم إلى خروج موسى من مصر ببنى إسرائيل ، ثم إلى زمان داود ، ثم إلى زمان سليمان ، ثم إلى زمان عيسى عليهم السلام وقد رواه محمد بن إسحاق عن ابن عباس

وفيه أقوال أخر : منها أنه كان من آدم إلى الطوفان ، ثم إلى زمان نار الخليل ، ثم أرخ بنو إسماعيل من بناء البيت ، ثم إلى معد بن عدنان ، ثم إلى كعب بن لؤى ، ثم من كعب إلى عام الفيل . قاله الواقدى

وعن بعضهم : كان بنو إبراهيم يؤرخون من نار إبراهيم إلى بنيان البيت حين بناه إبراهيم وإسماعيل ، ثم أرخ بنو إسماعيل من بنيان البيت حتى تفرقوا فكان كلما خرج قوم من تهامة أرخوا بمخرجهم ، ومن بقى بتهامة من بنى إسماعيل يؤرخون من خروج سعد ونهد وجهينة بنى زيد من تهامة ، حتى مات كعب بن لؤى فأرخوا من موته إلى الفيل ، ثم كان التأريخ من الفيل حتى أرخ عمر من الهجرة ، وذلك فى سنة ست عشرة أو سبع عشرة أو ثمانى عشرة

ومنها : أن حمير كانت تؤرخ بالتبابعة وغسان بالسند ، وأهل

ستماء بظهور الحبشة على اليمن ، ثم بغلبة الفرس . ثم أرخت بالأيام المشهورة : كحرب البسوس وداحس والغبراء وبيوم ذي قار والفجار ونحوه ، وبين حرب البسوس ومبعث محمد صلى الله عليه وسلم ستون سنة

أحمد صفر الدين

١ — رد ابن المقفع على الخليل

ورد في مقال الزواج للأستاذ الكبير العقاد أن الخليل ابن أحمد أجاب وقد سئل في قرض الشعر : أن الذي يرضاه لا يجيئه ، وأن الذي يجيئه منه لا يرضاه !

وقد قال الجاحظ في كتابه البيان والتبيين (الجزء الأول ص ١٥١) في سياق الحديث عن السر في تبريز الأديب في فن من فنون الأدب وتأخره في فن آخر : وكان عبد الحميد الأكبر وابن المقفع مع بلاغة أقلامهما وألسنتهما لا يستطيعان من الشعر إلا ما لا يذكر مثله . وقيل لابن المقفع في ذلك فقال : « الذي أرضاه لا يجيئني ، والذي يجيئني لا أرضاه » . وإني لأحس أن أستاذنا العقاد تطمئن نفسه إلى موافقة الجاحظ ، ولأن يصدر هذا الكلام من أديب كبير وكاتب عظيم كابن المقفع أقرب إلى الذوق الأدبي من أن يصدر من إمام لغوي نحوي كالخليل

٢ — شاعر وناقد

فيما دار بين الأستاذين الشاعرين من نقاش حول موضوع الرحلات العربية مسألتان نحويتان أرى الحق في جانب الأستاذ رضوان في الأولى ، كما أراه في جانب الأستاذ عبد الغني في الأخرى ، وإلى القارىء البيان :

١ — قال الأستاذ عبد الغني في مقاله الرحلات عن البيروني (... ويعد كتابه الثاني — تاريخ الهند — أوفى مرجع عن بلاد الهند وأملأ كتب الأسفار تعريفاً بها)

وهذا تعبير شاذ لأن أفعل التفضيل بعض ما يضاف إليه ولا تصح العبارة إلا إذ صيغت « أملأ » إما من الخماسي ، وإما من الثلاثي المبني للمجهول ، لأن الكتاب مملوء لا مالئ ، والمصوغ منهما شاذ كما هو معلوم من القواعد النحوية التي يجب علينا العمل بها لأنها لم تستقر إلا بعد البحث واستقراء الكلام الصحيح . فالصواب ما قاله الأخ رضوان وهو : ويعد المؤلف أملأ المؤلفين لكتابه تعريفاً بالأسفار ...

٢ — قال الأستاذ عبد الغني أيضاً : « وإذا كانت هذه الرحلات الفردية وكثير غيرها قد أضافت بعض الثروة إلى الأدب إلا أنها لم تكن منتجة بالنسبة للرحلات والأسفار » . وقد طالبه زميله بإعرابها وبيان جواب إذا وتخريج الاستثناء . وإني أقول لزميل الفاضل : إن هذا التعبير صحيح وارد في كلام العرب ، فجواب إذا الذي يبحث عنه ويشتاق إليه محذوف أغفت عنه جملة الاستثناء ، وجملة أضافت ... خبر كان ، وأما جملة الاستثناء ففي محل نصب كما وضح ذلك ابن هشام في المغني . ثم اسمع ما قال الخضري على ابن عقيل عند الكلام على قول ابن مالك (ومفرداً يأتي ويأتي جملة) — ص ٩٣ — وتأمله يطمئن قلبك قال : (استشكل وقوع الاستدراك خبراً نحو : زيد وإن كثر ماله ، لكنه بخيل ، مع وروده في كلامهم ، خرجه بعضهم على أنه خبر عن المبتدأ مقيداً بالغاية ، وبعضهم قال الخبر محذوف والاستدراك منه) . وإلى الأستاذين الفاضلين تحيتي وتقديري .

٣ — النحو في الكلام كالملح في الطعام

غمض على حضرة الأديب أحمد الشرباصي هذا المثل المشهور رغم وجه الشبه ، وأشكل عليه ما كتبه الخطيب القزويني في كتابه الإيضاح ، فنسب الأديب المثل إلى الخطأ والفساد ولم ير المخرج من الحيرة إلا تحريفه عن الحكمة القائلة : الهزل في الكلام كالملح في الطعام . وأقول إن هذا المثل صحيح لا غبار على صحته لأن مراعاة قواعد النحو مصلحة للكلام لا شك في هذا ، كما أن وضع الملح في الطعام مصلح له . فوجه الشبه — وهو الإصلاح بغض النظر عن القلة والكثرة — جلي واضح ، وهذا هو نفسه قول الخطيب (فالوجه كون الاستعمال مصلحاً والإهمال مفسداً) وما وجه الشبه إلا المعنى الذي قصد اشتراك الطرفين فيه .

وأما الحكمة القائلة : الهزل في الكلام ... فالوجه فيها هو التحسين والتمليح ولا يراد فيها الإصلاح (وإن كان ذلك من ضرورات التحسين) لأنه لا يشترط في التشبيه أن يشترك طرفاه في كل أمر من أمورهما ، فإذا شبهنا شخصاً بالأسد لا نريد إلا الجراءة بصرف النظر عن غيرها من الصفات ، وقس على ذلك مثلنا الثائح المنيت بين علماء البلاغة القدامى والسلام على سيدي الأخ ورحمة الله .

يراري علي يراري
مدرس اللغة العربية بأسيوط الصناعية

الشـــارب

للقصصى الفرنسى جى دى موبسان

عزيزتى لوسيا :

لا جديد عندنا . نحن نقضى أوقاتنا فى غرفة الاستقبال ، نتلهى بالنظر إلى المطر وهو يتساقط ، وحيث أنه يتعذر الخروج فى هـذه الأيام العابسة ، فإننا نتسلى بتمثيل رواية هزلية ، ولـكن ... ما أسخف الروايات التى أعدت لتمثل فى الدور ، كما وردت فى القائمة الحالية ! ؟

إن كل ما فيها سمج ، متكلف ، غليظ ! ... ولا يقل فصل النكات التى تشتمل عليها عن فصل القنابل . إنها تحطم كل شىء مع أنه ليس فيها أدنى أثر لا للذكاء ولا للدعابة ولا للباقة !

حقاً إن رجال الأدب لا يعرفون شيئاً عن العالم ! إنهم ليجهلون كل الجهل كيف نفكر وكيف نتكلم ! فإذا أجزنا لهم أن يمقتوا عاداتنا ومواضعاتنا فلا يسعنا أن نجيز لهم أن يجهلوها . وهم إذا أرادوا التدليل على براعتهم وحذقهم لعبوا بالـكلمات لعباً غريباً من شأنه أن يزيل غضون ثكنة بأسرها ! وإذا أرادوا بعث السرور لجأوا إلى طائفة من النكات ... لا أشك لحظة أنهم إنما جمعوها من الشارع ... من تلك الحانات التى يدعونها « حانات الفنانين » ، حيث تتكرر منذ خمسين عاماً ذات النكات ، فيتناقلها الطلاب ويتوارثونها ...

إذن نحن نتسلى بتمثيل رواية هزلية ، ولما كان تمثيلها يقتضى وجود سيدتين ، فقد قبل زوجى أن يقوم بدور الخادم ، وذلك اضطر أن يحلق شاربه . وليس فى استطاعتك يا عزيزتى « لوسيا » أن تتصورى مقدار التغير الذى طرأ على زوجى بعد حلق شاربه ... إننى لا أكاد أعرف ... لا ليلاً ولا نهاراً !

وإذا لم يترك شاربه ينمو من جديد ، فالمرجح أننى لا أردده

تصويب :

ختم الدكتور زكى مبارك مقاله المنشور بالعدد (٤١٧) من « الرسالة » بقول الله تعالى : « وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب سينقلبون » . والصواب : « ينقلبون » من غير سين

حول إبصار الحبر :

تضمنت الفصول التى نشرتها لى « الرسالة » البراء بعض الأخطاء التى لا يحسن السكوت عليها ، ولذا نصلحها دقماً للبس ومحافظة على دقة العلم وأمانته :

أهديت الفصول إلى الأستاذ الفاضل منصور جرداق : (لا جردان ولا جوداق كما وردت خطأ)

(ص ٧٤٧ ع ١ س ١٨) سقطت كلمة « مصهورة » من العبارة : وهـذه الروايات تتميز أول ما تتميز بالفكرة العلمية « مصهورة » فى بوتقة الأدب الحى ...

(ص ٧٤٢ ع ٢ س ٦) وردت كلمة « جعفر » وصوابها « جلفر » إشارة إلى : Swift's Gullivers Travels

(ص ٧٦٧ ع ٢ س ٢٥) تصلح العبارة هكذا : أما حقيقتها فهى الاندماج فى وحدة « الزمكان » كاندماج الماء والملح فى الماء الملح

(ص ٧٦٨ ع ٢ س ٢) وردت كلمتا السبب النسبى والصواب « النسبية » الناموس المشهور .

(ص ٧٦٨ ع ٢ س ٩) سقطت إشارات تفقد العبارة التالية معناها : المسافة = الزمن × السرعة = الجذر التربيعى لمجموع مربعات الأبعاد الثلاثة .

(ص ٧٦٨ ع ٢ س ٢٥) مسرعة خطأ وصوابها سرعتها

(ص ٧٦٩ ع ١ س ٣) تبدل علامة السلب (—) فى قانون فتزجيرالد بعلامة المساواة (=)

(ص ٧٦٩ ع ٢ س ٢) وحدة (الزمكان) وليس الزمان

(ص ٧٩٥ ع ١ س ١٧) وردت كلمة علوى وصوابها عمودى

(ص ٧٩٥ ع ٢ س ١٦) اسم الكتاب هو : Human Worth of Rigorous Thinking

(ص ٧٩٥ ع ٢ س ٢٩) الصواب (دكستروز Dextrose)

(ص ٧٩٦ ع ١ س ٢) ترجمة الضوء المستقطب هى : Polarized Light.

(ص ٧٩٧ ع ١) وردت كلمة ستيد مرتين ولا حاجة بى للقول إن صوابها (سليد) كما جاءت فى مرة سابقة

هذا عدا بعض أخطاء بسيطة تغفلها لأنها ليست فى صلب الموضوع والسلام .

طبيل السالم

فى خيانته لشدة ما يبدو لى دميا بدون شارب !

والحقيقة أن الرجل لا يعد رجلاً بدون شارب ! أنا لا أحب اللحية كثيراً لأنها تكاد تدل على الإهمال دائماً ، أما الشارب ... أوه الشارب ! فإن وجه الرجل لا يستطيع الاستغناء عنه أبداً !

كلا ! لا يمكنك أن تتصورى قط إلى أية درجة تبدو هذه الفرشاة الصغيرة من الشعر ضرورية للنظر ... ولا سيما للعلاقات الزوجية !

ولقد عرضت لى فى هـذا الموضوع طائفة من الخواطر لا أجرؤ على التعبير عنها كتابة ، برغم استعدادى التام لاطلاعك عليها شفاهياً بصوت خافت وبسرور وافر

إلا أنه قد يتعذر أحياناً العثور على كلمات تصلح للتعبير عن بعض الأشياء ؛ وأكثر هذه الكلمات التى لا يمكن الاستعاضة عنها بغيرها تنحفر على القرطاس صوراً فظيعة لا أقوى معها على أن أخط شيئاً منها ... ثم إن الموضوع نفسه من الدقة والصعوبة بحيث يتطلب لباقة شديدة لمعالجته بدون التعرض لخطر

وأخيراً ماذا يمكننى أن أفعل إذا كنت لا أقدر أن أجعلك تفهمينى جيداً ؟

ولـكن اجتهدى يا عزيزتى أن تقرئى بين السطور !

أجل . عندما أبصرت زوجى بدون شارب أيقنت للحال أنه يتعذر على أن أحب ممثلاً أو مبشراً ... حتى وإن كان الأب (ديدون) نفسه أوفر المبشرين جمالاً وأشدهم إغراء إذا كان حليق الشارب !

وعند ما خلوت بزوجى كانت المصيبة أعظم ! . . . أوه يا عزيزتى لوسيا لا تسمحى قط لرجل حليق الشارب أن يقبلك إذ لا يكون لقبلاته أدنى طعم ! . . . مطلقاً ! . . . مطلقاً ! . . . فليس فى قبلاته ذلك الفلفل . . . نعم إن الشارب هو فلفل القبلات وبهارها !

تخيلى رقاً جافاً أو رطباً يلامس خدك : هذه هى قبلة الرجل الذى يحلق شاربه ... إنها بدون شك لا تساوى شيئاً !

وقد يخطر لك أن تسألينى : من أين يستمد الشارب إغراءه إذن ؟ وهل تحسبينى أعرف ذلك ؟

أول كل شىء الشارب دغدغة لذيذة جداً . . . تحسينه قبل الشعر ، فيبعث فى جسمك كله من قمة رأسك إلى أخمص قدميك رعشات سحرية تجتاحك كالتيار الكهربائى ... فالشارب هو الذى يداعب البشرة ، وهو الذى يجعلها ترتعش وتختلج ، وهو الذى يبعث فى الأعصاب ذلك التنميل العذب الذى يجعلك تتنهدين (آه) ، كما تفعلين حين يهز جسمك يد قارس !

وعلى النحر ! هل اتفق لك أن أحسست بالشارب يدغدغ نحرك ؟ إن دغدغته هذه لتسكرك وتشنج أعصابك ، وإنها لتنساب فى ظهرك إلى أن تبلغ أطرافك ، فتتلوين وتحركين أكتافك حركة خاصة ، وتلقين رأسك إلقاءة خاصة أيضاً ، وترغبين رغبة قوية فى الفرار والبقاء معاً ... إن قبلة كهذه لتستحق العبادة لشدة ما تبعثه من اللذة وما تحدثه من إثارة وتهييج

وعدا ذلك ... حقاً إنى لا أجرؤ على ... إن الرجل الذى يحب زوجه يعرف كيف وأين يجد مواضع مختبئة ليدفن فيها قبلاته ، مواضع لا تخطر للمرأة حتى عندما تخلو بنفسها ... وهذه القبلات إذا لم يتقدمها شارب لا يبقى لها طعم ، بل إنها لتغدو مخالفة للذوق والأدب !

ولك أن تفسرى ذلك بما تشائين ؛ أما أنا فأفسره هكذا : الثغر بدون شارب كالجسم بدون ثياب ! ... نعم ، لا بد من الثياب ، القليل منها إذا شئت ، ولـكن لا بد من بعضها

والخالق قد ستر بالشعر جميع مواضع الجسد التى يدفن الحب فيها ؛ فالثغر الحليق إنما يبدو كينبوع عذب وسط غابة اقتلعت أشجارها

وهنا يذكرنى بجملة لأحد رجال السياسة ما زالت تتردد فى ذاكرتى منذ ثلاثة أشهر ؛ فقد قرأ على زوجى ذات مساء فى إحدى الجرائد خطبة غريبة لوزير الزراعة السيد «ميلين» ؛ ولست أدرى إذا كان لا يزال إلى الآن فى وظيفته أم حل غيره محله

لم أكن أستمع لزوجى ، ولـكن هذا الاسم « ميلين » لفت انتباهى ؛ وقد ذكرنى — ولست أدرى لماذا — بالحياة فى بوهيميا ، وخيل إلىّ أن الحديث يدور على إحدى العاملات المتأنقات ؛ فأصخت بسمعى ، وهكذا استطاعت بعض الكلمات أن تجد سبيلاً إلى رأسى

والسيد (ميلين) أدلى إلى أهالى إميان — فيما أظن — بالتصريح التالى الذى ما فتئت أبحث عن معناه : لا وطنية بدون زراعة ! ولم أهتد إلى معنى هذه الجملة إلا فى هذه اللحظة . . . وأنا كذلك أصرح بدورى : لا حب بدون شارب !

وقد يبدو ذلك مضحكا ، حين يقال على هذه الصورة ، أليس كذلك ؟ لا حب بدون شارب ! — لا وطنية بدون زراعة . . . ! لقد كان السيد (ميلين) مصيباً فى قوله هذا الذى لم أدرك معناه قبل هذه اللحظة ...

والشارب ضرورى من جهة أخرى ، فهو الذى يحدد صورة الوجه فيجعله لطيفاً أو رقيقاً أو قاسياً أو مضحكا أو جريئاً

إن الرجل الذى يرخى لحيته إرخاء تاماً ، ويترك جميع شعره (يا لها من كلمة قبيحة !) على خديه ، لا يمكن أن يكون فى وجهه شىء من الرقة ، لأن الشعر يخفى الملامح ، وشكل الذقن والفكين يدل على أشياء كثيرة ، ولكن قلّ من يفهمها

أما الرجل الذى يترك شاربه ، فإنه يحتفظ بهيأته الحقيقية وبرقته فى وقت واحد ، والشوارب أشكال متعددة تختلف عن بعضها اختلافاً عظيما ، فهى تارة : معقصة ، معقوفة ، أنيقة . وهذه يبدو عليها أنها تحب النساء فوق وقبل كل شىء آخر !

وهى طوراً : مسننة ، مهددة ، حادة كالإبر .... وهذه تميل للخمر والخيل والحرب !

وأخرى هى : غليظة ، مترهلة ، مقززة ... وهذه تخفى عادة طبعاً حسناً ، وطيبة عظيمة إلى درجة الضعف ، ولطفاً لا يكاد يفرق عن الحياء والخجل

ثم إن ما أحبه أكثر من كل شىء فى الشارب ، إنه فرنسى وفرنسى بحت ، فقد تحدر إلينا من أسلافنا الغاليين وما انفك يتوارث حتى غدا سمة فارقة من سماتنا الوطنية

والشارب مهذار ، شجاع ، أنيق ... فهو يغطس بشاقة فى كأس النبيذ ، ويعرف كيف يبتسم بظرف ، بينما الفك الذى تستطيل لحيته ، يبدو فظاً سمجاً فى كل ما يأتيه من حركات !

وإليك حادثاً استنفد جميع دموعى وجعلنى أفتن بالشوارب على شعور الرجال : حدث ذلك خلال الحرب الماضية ، وكنت إذ ذاك فتاة صغيرة ، واتفق ذات يوم أن جرت معركة شديدة على مقربة من قصر والدى ، فأزّ الرصاص ، وقصفت المدافع منذ الصباح ، فلما هبط المساء دخل علينا قائد ألمانى واتخذ له مجلساً بيننا ، ولم يلبث فى اليوم التالى أن غادرنا . . . ثم جاء من أخبر والدى أن فى الحقول كثيراً من القتلى ، فأمر بجمعهم وجلبهم للقيام بدفنهم

فجمعوهم ومددوهم على طرفى شارع الصنوبر من أوله لآخره ، ولما بدأت تنبعث منهم روائح كريهة أخذ الجنود يهيلون عليهم التراب فى انتظار الانتهاء من تهيئة الحفرة الكبرى التى تتسع لهم جميعاً ، وهكذا لم يعد فى الإمكان رؤية شىء من جثثهم ، ما عدا رؤوسهم التى كانت تبدو للناظر كأنها نبتت من الأرض صفراء مثلها بعيونها المقفلة و ...

وقد تملكتنى رغبة قوية فى أن أراهم ، ولكنى عند ما أبصرت هذين الخطين الطويلين من الوجوه العظيمة ، شعرت كأنما أغمى على ... ثم رحت أستعرض هذه الوجوه وأنا أحاول معرفة أصحابها

كانت بذلاتهم الرسمية مطمورة تحت أطباق الثرى ، ومع ذلك فقد استطعت فجأة يا عزيزتى أن أعرف الفرنسيين من شواربهم !

كان كثير منهم قد حلقوا لحاهم يوم المعركة كأنما أرادوا أن يكونوا أنيقين لآخر لحظة من حياتهم ... ! ولكن لحاهم قد عادت فنمت قليلاً ، لأن اللحى تنمو — كما تعلمين — بعد الموت أيضاً ... وكان يلوح على الآخرين أنهم لم يحلقوها منذ ثمانية أيام ... ولكن كلهم كانوا يتميزون بوضوح تام بالشوارب الفرنسية الفخورة التى خيل إلىّ أنها تقول لى : أيتها الفتاة ! إحذرى أن تخلطى بينى وبين صديق : إنى من مواطنيك !

وقد بكيت يا عزيزتى ، أوه بكيت كثيراً ، أكثر بكثير مما لو لم أعرف هؤلاء القتلى بهذه الطريقة ...

لماذا قصصت عليك ذلك ... لا شك أننى مخطئة ... فقد بعثت هذه الذكرى فى نفسى كآبة شديدة ، جعلتنى عاجزة عن الثرثرة أكثر مما فعلت ؛ فإلى اللقاء يا عزيزتى لوسيا ، إنى أقبلك قبلات حارة ، وليحيى الشارب !!!

(القدس) ايزاك شمرسه

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)